فكر طه حسين التربوى

بين النظرية والتطبيق

تأليف

د. مصطفى رجب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

الطبعة الأولى

مقدمـــة

استهدفت سلطات الاحتــلال الانجليزى فى مصر السيطرة الشاملة على كافة مناحى النشاط ، وأدركت تلك السلطات ما للتعليم من قدرة هائــلة على فرض هيمنتها وتحقيق أهدافها ، فلجأت الى العبث به ، وتوجيهه الوجهة التى تخدم أغراضها •

ولذلك فان البحث فى تاريخ التعليم الحديث فى مصر خلال مرحلة الاحتلال الانجليزى (١٨٨٢ ــ ١٩٥٢) لابد له من أن يتسع ليشمل ــ الى جانب دراسة أوضــاع التعليم ــ أدوار بعض رجال التعليم المصريــين الذين أسهموا بجهودهــم فى تغيير مسار ذلك التعليم فى اتجاه الصالح الوطنى العام •

ويقف كل من : اسماعيل القبانى ، وطه حسين ، وأحمد نجيب الهلالى، على رأس هؤلاء الرواد الذين قدموا للفكر التربوى وتطبيقاته فى مصر رؤى جديدة جيدة ، واسهامات فعالة مؤثرة ••

وهذا الكتاب يتناول فكر طه حسين التربوى من خلال كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » ، وبعض مقالاته المنشورة ، كما يتناول بعض تطبيقات هذا الفكر على يدى طه حسين نفسه من خلال المواقع التنفيذية التى تولاها •

وهذا الكتاب جزء من رسالة ماجستير كنت تقدمت بها الى جامعة أسيوط ونالت تقدير ممتاز ، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الرحمن درويش أستاذ ورئيس قسم أصول التربية وعميد كلية التربية بأســيوط ــ رحمه الله ــ والأستاذ الدكتور

نظمي حنا ميخائيل أستاذ المناهج وطرق التدريس والعميد الأسبق لكلية التربية بأسيوط ، والسيد الدكتور ثابت كامل حكيم الأستاذ المساعد بقسم أصول التربيــة بكلية التربية بسوهاج آنــذاك ، وناقشتها لجنة مكونة من الأستاذ الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع العميد الأسبق لكلية التربيــة بطنطا ، والأستاذ الدكتور محمد عويس وكيل كلية الآداب بالمنيا ورئيس قسم اللغــة العربية بها ــ رحمه الله ــ وذلك في يونيو ١٩٨٢ ٠

وقد أفدت كثيرا في دراستي هذه من كتابات من سبقوني سواء أكانوا من مؤرخي التعليم أم من كتبوا عن طه حسين ٠ فان أكن قد أحسنت في شيء فذلك الفضل من الله ، وان أكن أسأت في شيء فتلك طبيعة الانسان ٠٠

غفر الله لطه حسين ورحمه ، جزاء ما قدم لمصر ولأبنائها من فضل لا ينكره الا الجاحدون أو قصار النظــر ، « وان الله لمــع المحسنين » ٠

أ٠ د٠ مصطفى رجب

سوهاج : أبريل ١٩٩٤ م

الفصل الأول

(حياة طه حسين ومصادر ثقافته)

أولا : المرحلـة الريفيـــة

ثانيا : المرحلـة الأزهريـــة

ثالثا : المرحلـة الجامعيـــة

- تطورات حياتـــه
- مصادر ثقافتـــه :

(أ) الثقافة الفرعية للقرية المصريـة

(ب) الثقافة العربية والاسلاميـة

(جـ) الثقافة الأوربية القديمة والحديثة

أولا : المرحلة الريفية :

فى ١٤نوفمبر ١٨٨٩ ولد طـه حسين فى « عزبـة الكيلو » القرية التى كانت تقع على بعـد كيلو متر واحد من مركز مغاغـة التابع لمحافظة المنيا ، وكان أبوه الشيخ حسين على سلامة يعمـل موظفا فى شركة السكر ، وله ثلاثة عشر ولدا من زوجتين ، وكان طه السابع فى الترتيب بين هؤلاء الاخوة ، وقد أصيب فى حوالى السادسة من عمره تقريبا بمرض الرمد ، فلم يهتم أهله بعلاجه فى بادىء الأمر ، ثم عولج علاجـا بدائيا ذهب بعينيه ، اذ كان ذلك العلاج بمعرفة الحلاق فأدى ذلك لاصابته بالعمى (١) .

وكانت عادة أهل الريف فى ذلك الوقت الحاق أبنائهـم بالكتاتيب – وبخاصة المكفوفين – ، وقد ألحقته أسرته بكتاب فى القرية ليحفظ القرآن .

وفى عدة فصول من الجزء الأول من الأيام يحكى طه حسين ما كانت عليه حاله ، وما كانت عليه حال الكتاب الذى تعلم فيه القرآن الكريم ، والواقع أن الصورة التى قدمها طه حسين للكتاب الذى تعلم فيه أثارت جدلا كبيرا حول ما اذا كانت واقعية أم مشوبة بشىء من السخرية والمبالغة ، واذا كان ذلك لا يعنى الباحث كثيرا ، فانـه لا يستطيع الخوض فى تفاصيل هذا الجـدل ، اذ أن هذه

(١) طه حسين ، الايام ، جـ ١ ، (القاهرة : دار المعارف ، ط ١٩ ، ١٩٧٢) ، ص ١٢٠ .

الصورة مهما تكن واقعيتها فانها لا تأخذ صفة التعميم على كل الكتاتيب فى ذلك الوقت من حيث نظام التعليم بها ٠

ويتعرض طه حسين ـ فى الجزء الأول ـ لمظاهر الحياة فى القرية ، فيصف تلك الجلسات المسائية التى كانت تجمع أهل القرية حول شاعر الربابة الذى يقص عليهم القصص الشعبى مثل سيرة « عنترة » وسيرة « سيف بن ذى يزن » وأخبار الزناتيين والهلاليين ٠ وكان طه حسين يختلف الى هذه الجلسات ليستمتع بهذه القصص ٠

كما يصف أيضا الحياة العلمية فى القرية كما عاشها هو ، مقارنا بين المكانة الاجتماعية للعلماء فى القاهرة ، ومكانتهم فى الريف ، حيث « يغدون ويروحون فى جلال ومهابة ، ويقولون فيستمع لهم الناس مع شىء من الاكبار مؤثر جذاب » (٢) ٠

ويقول عن نفسه : انه كان متأثرا بنفسية الريف ، يكبر العلماء كما يكبرهم الريفيون ، ويسمع لهم وهم يتكلمون ، فيأخذه شىء من الاعجاب والدهش ٠

ويصنف طه حسين علماء الريف الى أكثر من نوع (٣) :

★ فمنهم الذين نالوا نصيبا من العلم مثل قاضى المحكمة الذى تعلم على يديه ألفية ابن مالك فى النحو ، وامام المسجد ، وكاتب المحكمة ، وهؤلاء العلماء لهم هيبتهم ومكانتهم الاجتماعية التى ترتبط بوظائفهم الرسمية ٠

★ ومنهم بعض الذين يحترفون الحرف المختلفة ، ولكنهم يأخذون

---

(٢) **المرجع السابق** ، ص ٧٩ ٠

(٣) **المرجع نفسه** ، ص ٨٦ ٠

العلم ويؤدونه بطرقهم الخاصة ، مثل الشيخ المالكى الذى كان يعمل فى الأرض ويتجر ، ولكنه يجلس الى الناس ويعلمهم ، ومثل الخياط والحمار وغيرهما .

★ ومنهم الفقهاء الذين يقرؤون القرآن ، ويقرئونه للناس ، ويصفهم بأنهم « يأخذون علمهم من القرآن مباشرة ، يفهمونه كما يستطيعون ، لا كما هو ولا كما ينبغى أن يفهم » (٤) ، ومن هؤلاء الشيخ صاحب الكتاب الذى تعلم فيه .

★ ومنهم شيوخ الطرق الصوفية الذين يسيطرون على الناس بما يتحدثون به ، وما يشيع عنهم من كرامات وخوارق .

وكان طه حسين « يختلف بين هؤلاء العلماء جميعا ، ويأخذ عنهم جميعا ، حتى اجتمع له من ذلك مقدار ضخم مختلف مضطرب متناقض (٥) ، أثر فى تكوين عقله .

ولم تكن المرحلة الريفية فى حياة طه حسين مقصورة على هذا الحد ، ولكن حصيلته الثقافية والمعرفية كانت تشمل الى جانب ذلك حفظه للكثير من الأدوار والأدعية التى كان يسمعها كثيرا من جده العجوز ، والكثير من الأغانى والتعديد الذى كان يسمعه من والدته ، ومن نساء القرية اذا خرجن قبيل طلوع الشمس ليملأن جرارهن مساء ويعدن ، الكثير من أناشيد الصوفية التى كان يحفظها من المنشدين فى الأذكار التى كان يحبها أهل القرية .

وقد انتهت المرحلة الريفية بمتناقضاتها من حياة طه حسين سنة ١٩٠٢ حين انتقل الى القاهرة مع أخيه الأكبر « أحمد » ليتلقى العلم فى الأزهر على أن هذه المرحلة كان لها تأثير بالغ فى شخصيته حيث أكسبته القدرة على التحمل ، وعلمته العناد ، ونمت لديه حب الاستطلاع .

---

(٤) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

ثانيا : المرحلة الأزهرية :

بدأت المرحلة الأزهرية فى حياة طه حسين بقدومه من الصعيد الى القاهرة سنة ١٩٠٢ لطلب العلم فى الأزهر ، والجزء الثانى من « الأيام » يؤرخ لهذه الفترة بالتفصيل ، وهو يتحدث عن تلك المرحلة من زاويتين :

الأولى : حياته فى الأزهر متنقلا بين حلقات العلم .

الثانية : حياته فى المسكن وما يكتنف تلك الحياة من جد ولهو وخبرات جديدة لم يألفها فى الريف .

وقد كان طه حسين متشوقا الى الأزهر ، متلهفا على ما يسمعه عما فيه من علم من كثرة ما كان يسمع من أخيه الأكبر اذا عاد الى القرية منتهاه من الدراسة كل عام ، وما كان يلمس من احتفاء والديه وأهل قريته به ، فكان يطمع أن يحقق لنفسه ـ بالتحاقه بالأزهر ـ ما حققه أخوه .

وكان نظام الدراسة بالأزهر يقضى بأن يبدأ الطالب بالامتحان فى القرآن الكريم ، ثم ينتسب الى قسم المبتدئين ، وقد حدث هذا مع طه حسين ، حيث « حضر دروس المبتدئين ، واستمر على ذلك ثلاث سنوات ، وسمع آخر درسين ألقاهما الشيخ محمد عبده فى الأزهر فى غضون شتاء ١٩٠٠ » (٦) .

وفى الفترة من ١٩٠٥ الى ١٩٠٧ حضر دروس المتوسطين فى الفقه والنحو ، وبدأ من سنة ١٩٠٧ دروسه مع الطلبة المتقدمين(٧) ، وقد تتلمذ خلال الفترة من ١٩٠٧ الى نهاية المدة التى قضاها بالأزهر

---

(٦) عبد الرحمن بدوى ، **الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين** ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٢) ، ص ٩ .

(٧) **المرجع نفسه** ، ص ٩ .

على مجموعة من كبار مشاهير علماء الأزهر فى تلك الحقبة فى مختلف العلوم التى كانت تدرس ، « فحضر دروس الشيخ محمد بخيت (الذى أصبح فيما بعد مفتيا للديار المصرية) فى الفقه الحنفى ، وحضر دروس الشيخ محمد حسنين العدوى فى المنطق ، ودروس الشيخ محمد مصطفى المراغى فى التوحيد ، والشيخ محمد راضى ، والشيخ عاشور الصدفى » (٨) ٠

ولكن أبرز أساتذته فى الأزهر ، وأشدهم تأثيرا فيه ، هو الشيخ سيد المرصفى ، وكان يلقى دروس الأدب ، فكان يشرح لطلابه كتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « الحماسة » لأبى تمام ، وكتاب « المفصل » للزمخشرى ، « ولم تكن دروس هذا الشيخ ضمن المقررات الرسمية للأزهر ، وانما كان الأدب أحد الموضوعات الجديدة التى قدمها محمد عبده فيما قدم الى الأزهريين » (٩) ٠

وفى الجزء الثانى من الأيام يكثر طه حسين من الحديث عن الشيخ المرصفى وعن حبه له ، وحب الشيخ لتلميذه ٠ وقد أخلص هذا الحب للشيخ ثلاثة من تلاميذه هم : طه حسين ، ومحمود زناتى، وأحمد حسن الزيات ، « فكونوا عصبة صغيرة ولكنها لم تلبث أن بعد صوتها فى الأزهر ، وتسامع بها الطلاب والشيوخ ، وتسامعوا خاصة بنقدها للأزهر وثورتها على التقاليد » (١٠) ٠

وترجع هذه الثورة بالاضافة الى ما فى طبيعة طه حسين منها نتيجة ظرفه البصرى الخاص ، وتربيته فى القرية ، ترجع الى ما كان الشيخ المرصفى يبثه فى نفوس طلابه من آراء ، فانه كان يعلمهم الحرية فى النقد ٠

---

(٨) المرجع نفسه ، ص ٩ ٠

(٩) مارسدن جونز وحمدى السكوت، طه حسين ، ص ٥ ٠

(١٠) طه حسين ، الأيام ، ج ٢ ص ٣ ، ٤ ٠

« ولم يكن للشيخ حديث الى تلاميذه اذا تجاوز درس الأدب الا الأزهر وشيوخه ، وسوء مناهج التعليم فيه ، وكان الشيخ قاسيا اذا طرق هذا الموضوع ، وكان نقده لاذعا .. » (١١) .

وما يستطيع الباحث أن يقطع بأن المرحلة الأزهرية فى حياة طه حسين قد أفادته علما كما كان يتوقع ، بقدر ما يستطيع أن يقطع بأنها أثرت فى شخصيته ، بما أتاحت له من انطلاق وحرية وجرأة .

فنظام الدراسة على النحو الذى يورده طه حسين فى الأيام يؤكد الحرية ، حيث كان الطالب يتنقل بين الحلقات كيف شاء ، وتبدأ هذه الحلقات من بعد صلاة الفجر وحتى العشاء .

وكانت الحركة التجديدية فى الأزهر قد سيطرت على الأفكار داخل الأزهر وخارجه بفعل الشيخ محمد عبده فى ذلك الوقت الذى انتسب فيه طه حسين الى الأزهر (١٢) .

وقد تسبب طه حسين على نحو ما يرد فى الأيام فى كثير من المشكلات التى كانت تقع اما بسبب وقوع الشقاق بينه وبين أحد مشايخه فى النقاش العلمى ، واما بسبب انضوائه ورفاقه تحت لواء الشيخ المرصفى الذى يقود الثورة على الأزهر .

وفى عام ١٩١٢ تقدم طه حسين لامتحان العالمية فى الأزهر ، ومع أنه كان مستعدا للامتحان فقد تعمدت اللجنة اسقاطه بناء على توجيه من شيخ الأزهر (١٣) .

---

(١١) المرجع نفسه ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(١٢) عبد الخالق محمود عبد الخالق ، (شخصية رجل الدين فى أدب الدكتور طه حسين) ، بحث مقدم الى المؤتمر الثامن فى ذكرى طه حسين ، كلية الآداب ـ جامعة المنيا ، يناير ، ١٩٨٢ .

(١٣) حمدى السكوت ، ومارسدن جونز ، طه حسين ـ سلسلة أعلام الأدب المعاصر ، القاهرة : الجامعة الأمريكية ، ١٩٨١ ، ص ٨ .

الزاوية الثانية التى يمكن التعرف من خلالها على المرحلة الأزهرية فى حياته هى سكناه فى القاهرة مع أخيه الأكبر الذى كانت له زمرة من الرفاق يزورونه فى غرفته ليأكلوا ويشربوا ويراجعوا دروسهم ، فكان طه يجلس منهم غير بعيد منصتا فى شغف واهتمام .

وكانت المناقشات تحتدم بينهم أحيانا حتى تخرجهم عن أطوارهم ، فيخوضوا فى أشياء قد تدق عن فهمه ، وطبيعى أنه لم يكن ليستطيع أن يتابع هذا الحوار الذى يجرى بين هؤلاء الرفاق فى مسائل الأصول والفقه والبلاغة وما اليها ، ولكنه استطاع — بلا ريب — أن يدرك الطابع العام له ، على النحو الذى أراه — فى الأيام — وأدرك منه أن ليست هناك مسألة تمتنع عن المناقشة ، ولا رأى يكبر على النقد ، مهما يكن صاحبه جلالة قدر وعظم منزلة (١٤) ، وهكذا لم يكن تأثر طه حسين بجماعة رفاق أخيه بأقل من تأثره بما كان يكتنف حضوره حلقات الدرس من حيوية وحرية وافادة واعمال فكر ، وكان لهذا كله أثر واضح فيما نادى به بعد ذلك من آراء فيما يتعلق بتطوير نظام الدراسة بالأزهر .

كما كانت تلك المرحلة من أهم المراحل التى تبرز سماته الشخصية كمحصلة لها ، فجداله مع الشيوخ أكسبه الجرأة فى الجهر برأيه مهما تكن النتيجة ، ونمى ما كان مركبا فيه من استعداد للعناد والتحدى ، كما يلوح فى الجزء الثانى من الأيام من خلافاته مع شيوخه من أجل اصراره على رأيه .

ومن المحتمل جدا أن ما كان يعتريه من غضب حين تهاجم سياسته التعليمية وآراؤه المتعلقة بديمقراطية التعليم ، يرجع الى

---

(١٤) محمد طه الحاجرى ، « المرحلة الأزهرية فى حياة طه حسين » مجلة الثقافة (القاهرية) ، أغسطس ، ١٩٧٥ ، ص ١٦ .

هذه السمات الشخصية التى تعد وليدة أو ربيبة تلك المرحلة من حياتـه ٠

ثالثا : المرحلة الجامعيـة :

كان افتتاح الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨ تتويجا لعدة مراحل من مراحل الكفاح التى قادها الحزب الوطنى بريادة مصطفى كامل الذى ظل ينادى بانشاء جامعة أهليـة ينفق عليها الأغنيـاء طوال سنوات ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ ، حيث انضم الى حملتـه تلك الكثيرون من قادة الفكر فى مصر ٠

وعندما افتتحت الجامعـة فى ديسمبر ١٩٠٨ كان الاقبـال عليها متزايدا ، « حيث بلغ عدد الذين حضروا المحاضرات بها من ديسمبر ١٩٠٨ حتى ١٥ فبراير ١٩٠٩ (٢٠٢٤) طالبا ، وكان عدد المنتسبين ٦٧٥ طالبا و ٢٢ طالبة » (١٥) ٠

وكان طه حسين مازال يـدرس فى الأزهـر حـين افتتحت الجامعة ، ولكنه كان ضيقا بالأزهر ، فوجد فى الجامعـة الوليدة متنفسا له فلم يلبث أن اختلف اليها ٠

« وسمع بها دروس أحمد زكى باشا فى الحضارة الاسلامية ، ودروس أحمد كمال باشا فى الحضارة المصرية القديمة ، ودروس أجناسيو جويدى Ignasio Guidi فى أدبيات الجغرافيا والتاريخ ، ودروس ليتمان Enno Litman فى اللغات السامية : السريانيـة وأصول العبرية والحبشية ٠ وقد جاء نللينو سنة ١٩١٠ الى ١٩١٣ وقد درس أولا تاريخ الفلك عند العرب ، ثم تاريخ الأدب العربى ٠٠ كذلك درس له سانتلانـا تاريخ الفلسفة الاسلاميـة ، ودرس لـه

---

(١٥) حسن الفقى ، **التاريخ الثقافى للتعليم فى مصر** ، دار المعارف ، ط ٢ ، ص ١٤٠ ٠

ميلوني تاريخ الشرق القديم وخصوصا تاريخ بابل وآشور وسومر ، ودرس له ماسيفيون من سنة ١٢ ــ ١٩١٣ الاصطلاحات الفلسفية ، ودرس له الجغرافيا اسماعيل رأفت » (١٦) .

وقد بدأ طه حسين فى تعلم اللغة الفرنسية منذ سنة ١٩٠٨ حتى استطاع أن يتابع بها دروس الأدب الفرنسى التى كان يلقيها الأستاذ لوي كليمان Lois Clement الذى كان أستاذا بجامعة ليل Lille وانتدب للتدريس في الجامعة المصرية (١٧) .

وهكذا أتيح لطه حسين أن يتتلمذ على هذه النخبة من مشاهير الأســـاتذة والمستشرفين ، وكان الى جانب دروسهم ما زال يتابع دروسه فى الأزهر الى سنة ١٩١٢ حيث تقدم لامتحان عالمية الأزهر فأسقط فيها كما تقدم .

وهناك تطور آخر فى حياته يعد نقطة تحول كبيرة ، « حيث تعـرف فى هذه المرحلة من حياتــه على أحمد لطفى السيد صاحب « الجريدة » ، وعبد العزيز جاويش الذى كان لــه باع طويل في تحرير صحف الحزب الوطنى ففتحها على مصاريعها لطــه حسين ، وشجعه على نقد الأزهريين فى عنف ، وعلى نقد المنفلوطى ، ووضع فى رأسه فكرة السفر الى أوربا ، وعينه مدرسا بدون مرتب في مدرسة أسسها هو ، كما تعلم طــه حسين الفرنسية في مدرسة أنشأها عبد العزيز جاويش أيضا » (١٨) ، وقد أسهمت هذه البيئة الجديدة فى تغيير مسار حياة طه حسين ، فبدأ أمله فى أن يصبح شيخا ذا عمود فى الأزهر يتلاشى شيئا فشيئا ، وبدأ يتصل ببيئة المثقفين ذوى التعليم المدنى ، مما أدى بــه الى النفور من البيئــة

---

(١٦) عبد الرحمن بدوى ، مرجع سابق ، ص ١٠ .
(١٧) المرجع السابق ، ص ١١ .
(١٨) حمدى السكوت ، ومارسدن جونز ، مرجع سابق ، ص ٧ ، ٨ .

الأزهرية المحافظة ساعده على ذلك ما كان يلمسه من تنكر الأزهريين للامام المجدد الشيخ محمد عبده على نحو ما يصف فى الأيام » (١٩) .

وقد تقدم طه حسين الى الجامعة بأول رسالة دكتوراه حضرها بنفسه دون مشرف ، اذ لم تكن قواعد التحضير قد عرفت طريقها الى الجامعة الوليدة .

« وقدم طه حسين بحثه الى الجامعة ، وفى « يوم الثلاثاء الخامس من مايو ١٩١٤ فى الساعة الخامسة مساء اجتمعت بدار الجامعة لجنة امتحان العالمية المؤلفة من الأستاذ محمد الخضرى رئيسا ، والأستاذين محمد المهدى ، ومحمود فهمى ، المدرسين بالجامعة ، والأستاذين : اسماعيل رأفت بك ، وعلام سلامة المندوبين من نظارة المعارف أعضاء ، لامتحان الطالب الشيخ طه حسين ، وناقشت اللجنة الطالب فى الرسالة التى قدمها فى تاريخ « أبى العلاء المعرى » ، ثم فى العلمين اللذين اختارهما ، وهما : الجغرافية عند العرب ، والروح الدينية للخوارج ، واستمرت المناقشة ساعتين وسبع دقائق ، وبعد نهاية الاختبار اجتمعت للمداولة فيما يستحقه الطالب من الدرجات ، فقررت أنه يستحق : درجة جيد جيدا فى الرسالة ، ودرجة فائق فى الجغرافيا عند العرب ، ودرجة فائق فى موضوع الروح الدينية عند الخوارج » (٢٠) .

ويعد بعض الباحثين هذا البحث عن « المعرى » نقطة تحول كبيرة فى مناهج الدراسة الأدبية فى مصر فى العقد الثانى من القرن العشرين (٢١) ، كما أن هذا البحث أول دراسة فى تاريخ

---

(١٩) الأيام ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ .

(٢٠) السكوت ومارسدن جونز ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٢١) عبد المنعم الجميعى ، طه حسين والجامعة المصرية ، (القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨١) ، ص ١٣ .

الأدب العربى تستخدم فيها الدراسات الاجتماعية والنفسية استخداما واعيا لاضاءة الجوانب الفكرية ، مما يوضح لنا الفرق بين منهج الدراسة فى الجامعة ومنهج الدراسة فى الأزهر (٢٢) ·

وبحصول طه حسين على « الدكتوراه » تقدم الى الجامعة طالبا ايفاده فى البعثات التى كانت الجامعة تزمع بارسالها الى أوربا ، فأجيب الى طلبه ، ولكن تأجل سفره لنشوب الحرب العالمية الأولى ·

« وسافر فى نوفمبر سنة ١٩١٤ الى « مونبلييه » حيث اهتم بدراسة اللغة الفرنسية ، كذلك حضر بعض الدروس ·· فحضر دروسا فى علم النفس على الأستاذ « فوكو « ، ودروسا فى الأدب الفرنسى وفى التاريخ الحديث ، وبقى فى مونبلييه من نوفمبر ١٩١٤ الى سبتمبر ١٩١٥ حيث أفلست الجامعة المصرية فاستعادت مبعوثيها » (٢٣) ·

وتقدم طه حسين فى دراسته ، فحصل على الليسانس فى الآداب من السوربون سنة ١٩١٧ ، ثم تزوج فى أغسطس من العام نفسه ، وفى يناير ١٩١٨ نوقشت رسالته للدكتوراه عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، حيث حصل عليها بمرتبة الشرف الممتازة مع تهنئة اللجنة ، وحفزه هذا النجاح الى الحصول على دبلوم الدراسات العليا فى تاريخ القانون المدنى الرومانى فى يونيو ١٩١٩ بتقدير ممتاز أيضا (٢٤) ·

وفى أكتوبر ١٩١٩ عاد طه حسين الى مصر ، ليعمل أستاذا للتاريخ القديم (اليونانى والرومانى) واستمر فى هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٥ ، حيث ألحقت الجامعة المصرية القديمة بالدولة فأصبحت حكومية ، وعين طه حسين أستاذا لتاريخ الأدب العربى

---

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١٣ ·

(٢٣) عبد الرحمن بدوى ، مرجع سابق ، ص ١٢ ·

(٢٤) عبد الرحمن بدوى ، مرجع سابق ، ص ص ١٣ ، ١٤ ·

فى كلية الآداب ، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من مراحل حياته وهى مرحلة الانتاج الفكرى والكفاح من أجل الاصلاح .

تطورات حياتـه :

وظل طه حسين يعمل أستاذاً للأدب العربى بكلية الآداب حتى عين عميـدا لها سنة ١٩٢٨ ، وكان فى ذلك الوقت وثيق الصله بحزب الأحرار الدستوريين فتدخل وزير المعارف الوفدى لمنع تعيينه ، وتمت تسوية الأزمة بعد أن تسلم عمله يوما واحـدا ، وفى سنة ١٩٣٠ اختير عميدا للكلية ، ومـرة أخرى طلب منه وزير المعارف - بعد يومين من تسلمه العمل - أن يستقيل ليصبح رئيسا لتحرير جريـدة « الشعب » لسان حال حزب الشعب الذى أنشأه صدقى باشا بعـد توليـه الوزارة ، ولكنه رفض ، فأسرهـا صـدقى فى نفسه (٢٥) .

وفى تلك المرحلة المبكرة من حياته العلمية لم يكن طه حسين متفوقا فى الجامعة فقط ، بل كان يكتب فى الصحف والمجلات ، كما كان يشارك فى القـاء سلسلة من المحاضرات العـامة بقاعـة الجمعية الملكية الجغرافية ، كما سافر عدة مرات للمشاركة فى أعمال المؤتمرات العلمية .

« سافر لتمثيل الجامعة فى مؤتمر الآثار السورية فى بيروت ودمشق والقدس سنة ١٩٢٦ ، وفى عام ١٩٢٨ ندب لتمثيل الجامعة فى مؤتمر المستشرقين فى أكسفورد ، وفى سنة ١٩٣٠ ندب لتمثيل الجامعة فى مؤتمر المستشرقين فى فيتا ، وفى سنة ١٩٣١ نـدب لتمثيل الجامعة فى الاحتفال بالعيد المئوى الرابع لكلية دى فرانس كما حضر فى مؤتمر المستشرقين فى ليدن .. » (٢٦) .

---

(٢٥) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢٦) عبد المنعم الجميعى ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

وهذه الأنشطة المختلفة لم تطغ على عمله كمؤلف ، فقد أخرج فى تلك الفترة عدة مؤلفات من أبرزها كتاب « فى الشعر الجاهلى » الذى أحدث ضجة ودويا ظلا أمدا بعيدا يلاحقانه ٠

وقد كان حرص طه حسين على مناصرة حرية الفكر سمة بارزة من سمات شخصيته ، « فقد لقى عنتا كبيرا بلغ حد نقله من الجامعة سنه ١٩٣٢ حين عارض فى منح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب لبعض السياسيين ، فعدلت الحكومة عن كلية الآداب الى كلية الحقوق ، ونتيجة لذلك قرر حلمى عيسى وزير المعارف نقله فى ٣ مارس ١٩٣٢ الى وزارة المعارف ، فنفذ النقل ، ولكنه رفض العمل ، وتابع الحملة فى الصحف » (٢٧) ٠

وقد تسبب اخراجه بهذه الصورة الاستفزازية فى حدوث ضجة هائلة ، حيث احتج مجلس الكلية ، أوضرب طلبة كلية الآداب ، وأرسلوا برقية الى الملك فؤاد مطالبين باعادته ، فلما لم يتحقق طلبهم انضم اليهم طلبة الحقوق ، ثم طلبة الطب ، وتوجه مندوبون منهم الى القصر الملكى ٠ ونتيجة لتفاقم الموقف تدخلت قوات الأمن بأوامر من الحكومة ، ولكن ذلك لم يمنع الطلبة من الاستمرار حتى بعد اعلان وزير المعارف أنه سيغلق أية كلية يستمر طلبتها فى الاضراب ، مما أدى الى تدخل أحمد لطفى السيد مدير الجامعة الذى قابل رئيس الوزراء لايجاد حل للأزمة ، فلما رفض طلبه قدم استقالته (٢٨) ٠

« وتضمنت استقالة لطفى السيد أن الدكتور طه حسين قد أوجد مناخا علميا جديدا فى الجامعة ، وبوجه خاص فى ميادين

---

(٢٧) عبد الرحمن بدوى ، **مرجع سابق** ، ص ١٥ ٠

(٢٨) حسين فوزى النجار ، **احمد لطفى السيد** ، سلسلة اعلام العرب (٣٩) ، ص ٢٧٨ ٠

البحوث الأدبية ، وأن نقله يعتبر مخالفا للعقد الذى تم بين وزير المعارف وبين الجامعة القديمة » .

ولما وافق وزير المعارف على استقالة مدير الجامعة نقلت المشكلة الى طور جديد ، فلم تعد مسألة طه حسين ، بل مسألة الجامعة كلها (٢٩) ، ووجدت الحكومة نفسها فى مأزق ، فافتعلت ضجة فى البرلمان حول بقاء طه حسين فى الخدمة ، وأتبعتها بحملة فى صحفها تستهدف النيل من طه حسين والتشهير به ، وانتهت الأزمة باحالة طه حسين الى التقاعد فى ٢٩ مارس ١٩٣٢ .

وابتداء من مارس ١٩٣٣ حدث تحول خطير فى حياة طه حسين ، اذ بدأ ينحاز الى حزب الوفد صاحب الأغلبية فى مصر ، وبدأ الكتابة فى صحيفة « كوكب الشرق » الوفدية بناء على طلب النحاس باشا .

وفى ديسمبر ١٩٣٤ أعيد أستاذا فى كلية الآداب حتى مايو ١٩٣٦ ، حيث عين عميدا لها حتى مايو ١٩٣٩ ، ولما أعيد انتخابه رفضت الحكومة برياسة محمد محمود باشا تجديد تعيينه ، فاستقال من العمادة وظل أستاذا .

ولما جاء الوفد الى الحكم ١٩٤٢ عينه نجيب الهلالى وزير المعارف مستشارا فنيا للوزارة ، ثم انتدب مديرا لجامعة الاسكندرية فى أكتوبر ١٩٤٢ ، وظل يشغل المنصبين الى ١٦ أكتوبر ١٩٤٤ حيث أحيل للتقاعد ولم يعد الى المناصب الحكومية الا وزيرا فى آخر وزارة للوفد من ١٣ يناير ١٩٥٠ الى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

هذا عن المناصب الرسمية التى وليها طه حسين ، أما خارج العمل الحكومى الرسمى فقد كانت نشاطاته متعددة وحافلة بالعطاء ، فقد كتب فى الصحف والمجلات ، ورأس تحرير بعضها (الوادى —

---

(٢٩) عبد المنعم الجميعى ، **مرجع سابق** ، ص ٢٧ .

والكاتب المصرى) ، كما عين عضوا بمجمع اللغة العربية من سنة ١٩٤٠ (٣٠) ، وظل بالمجمع الى وفاته ، وتولى رياسته بعد لطفى السيد سنة ١٩٦٣ ، كما اختير مراقبا للثقافة بوزارة المعارف لمدة ثلاث سنوات من ١٩٣٩ – ١٩٤٢ – (٣١) ، بالاضافة الى عضويته فى كثير من المؤتمرات واللجان والمجالس مما لا يهم البحث الحالى ٠

ويلوح من العرض السابق لمراحل حياة طه حسين أنه كان شديد التفاعل مع ظروف عصره السائدة تأثرا وتأثيرا ، فاقالته من الجامعة ، واحالته للتقاعد ، نقطة واضحة فى تاريخ مصر الحديث ، تؤكد أنه كان وفيا لمبادئه ، مضحيا من أجلها ، حيث اصطدم بحكومة من أعنف الحكومات التى شهدتها تلك الحقبة من تاريخ مصر وهى النصف الأول من القرن العشرين ٠ كما أن مطالبته بمجانية التعليم – كما سيجىء – استجابة لظروف عصره الاجتماعية ٠

مصادر ثقافتــه :

(أ) الثقافة الفرعية للقرية المصرية :

فى الفترة التى عاشها طه حسين فى القرية (١٨٨٩ – ١٩٠٢) كان الريف المصرى يعانى من الفقر والجهل والمرض ، وكانت تسيطر على عقول الريفيين الخرافات والعادات البالية والتخلف الفكرى ٠

وقد نشأ طه حسين فى هذه البيئة نشأة تتضح فيما كتبه بعد ذلك فى الجزء الأول من « الأيام » أو فى رواياته المختلفة مثل « شجرة البؤس » ، « ودعاء الكروان » ٠

---

(٣٠) ابراهيم بيومى مدكور ، « طه حسين المجمعى » ، **مجلة الهلال** (القاهرية) ، أبريل ١٩٧٥ ، ص ٣٠ ٠

(٣١) حمدى السكوت ومارسدن جونز ، **مرجع سابق** ، ص ١٦ ٠

ويرى بعض الباحثين أن البيئة القروية التى نشأ فيها طـه حسين ذات شقين :

الشق الأول : يتمثل فى الشخصيات التى اتصـل بها طـه حسين ، ولها تأثيرها بحسب مدى صلته بها ، وأثر كل شخصية عليه وهى : والده وأمه وسيدنا والعريف وأخوه الأزهرى ، ومفتش الزراعة وعلماء المدينـة . وهذه الشخصيات تحدد لنا المكونـات الثقافية الأولى التى استمع اليها ورعاها ، الى جانب الأدب الشعبى والأوراد والقرآن (٣٢) .

الشق الثانى : هو الشق التربوى الذى يتمم هذه المكونات الثقافية التى جعلته يتجه بدوره القيادى اتجاها تعليميا وتربويا جديـدا .

ومن أبرز المكونات فى هذا الشق التربوى « كتاب القرية » ، وفيه تتمثل لنا صـــورة التعليم فى القرية المصرية أواخر القرن الماضى (٣٣) .

وقد أفاض طـه حسين فى وصف هذين الشقين فى الأيـام بما يتضح منه أن تأثير القرية فى شخصيته كان سلبيا الى حد كبير، فهو فرد فى أسرة مكونة من ثلاثة عشر فردا ، يعولها موظف محدود الدخل يعمل جاهدا على أن يتعلم أبناؤه ، فهو من أجل ذلك يحتاج الى أن « يستدين من حين الى حين ، ويثقل عليه أداء الدين ، وكان يطمع فى أن يزاد راتبه من حين الى حين ، وكان يطمع فى أن يتقدم درجة وينتقل من عمل الى عمل » (٣٤) . وهذه النشأة فى أسرة كهذه

---

(٣٢) عبد العزيز شرف ، طه حسين وزوال المجتمع التقليدى ، الهيئة العامة للكتاب ، ص ٣٠ .

(٣٣) المرجع نفسه ، ص ٢١ .

(٣٤) الأيام ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .

الأسرة من شأنها أن تربى فى نفسه ملكة التحدى وأن تعوده الصبر والصمود .

وهذه الأسرة عضو فى مجتمع متخلف يسيطر على عقوله علماء أخذوا العلم أسلوبا للتسلط على عقول أهل الريف منهم الخياط والحمار والتاجر ، ومنهم الأميون وشيوخ الطرق .

« وكانت لأهل الريف - شيوخهم وشبانهم وصبيانهم ونسائهم - عقلية خاصة فيها سذاجة وتصوف وغفلة ، وكان أكبر الأثر فى تكوين هذه العقلية لأهل الطريق » (٣٥) .

ومن ناحية أخرى كانت خبرات طه حسين فى الكتاب سلبية ومؤسفة ومحبطة ، فهو يكتشف أن سيدنا يحلف أغلظ الايمان وهو موقن أنه كاذب ، ويكتشف أن العريف يغش سيدنا ويعبث به ، ويهمل فى مراجعة القرآن مع الصبيان ، لقاء ما يقدمونه له من رشاوى ، ومن ثم جاء حفظه للقرآن الكريم ونسيانه اياه مرتين على نحو ما ورد فى « الأيام » حتى أقسم أبوه ألا يعود للكتاب ، ولكن سيدنا تشفع عند أبيه حتى أعاده وحنث فى يمينه » ، كل هذا كان له أثره فى تكوين مدركات طه حسين الأولى عن القيم ، فقد « تعلم الاحتياط فى اللفظ ، وتعلم أن من الخطل والحمق الاطمئنان الى وعيد الرجال ، وما يأخذون أنفسهم به من عهد .. » (٣٦) .

غاية الأمر أن العائد الثقافى الذى خرج به طه حسين من القرية هو وعيه الحقيقى بمشكلاتها ، وادراكه العميق لما يكتشف ثقافتها من ضحالة وضآلة ، ولا يمكن أن يكون تصويره لمشكلات القرية على نحو ما يرد فى أعماله القصصية الا نتاجا طبيعيا لما عاناه هو شخصيا من آلام وصعاب ، بوصفه عاش طفولة قاسية ، ذاق فيها مرارة الحرمان المادى ، كما ذاق فيها مرارة العمى .

---

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ٩٦ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

ويرى بعض الباحثين أن مشكلات طفل القرية ـ من خلال الأيام وشجرة البؤس ـ تتجسد على شكل مثلث متساوى الأضلاع ، وأضلاعه الثلاثة هى : الجهل والفقر والمرض ٠٠ وكل مشكلة منها توصل الى الأخرى ، وتعمل جميعها على الاطاحة بكل دوافع التقدم والتنمية الاجتماعية فى القرية (٣٧) ٠

وتكمن الروافد الحقيقية لما فى عطاء طه حسين الفكرى الاجتماعى من قيمة فى حرصه على تنمية اهتماماته فى مرحلة الطفولة المبكرة ، حيث حفظ الكثير من شعر شاعر الربابة بما فى قصص السيرة الهلالية من قيم ومعان ، الى جانب حفظ الكثير من الأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية ، والغناء ، والعديد ، كل ذلك يفسر لنا تكوينه الثقافى ، كما يفسر اهتمامه فيما بعد بدراسة وتدريس الأدب الشعبى ، ايمانا منه بأن دراسة أدب الشعب هى أقصر الطرق للوقوف على التشخيص الحقيقى للأمراض الاجتماعية ٠

(ب) الثقافة العربية والاسلامية :

بدأت الخطوط العريضة لارتباط طه حسين بالثقافة العربية والاسلامية ترتسم منذ نشأته الأولى فى القرية ، وتتمثل فى القرآن الكريم الذى حفظه ولما يبلغ التاسعة فكان له أكبر الأثر فى تقويم لسانه ، وفى تكوين ثروته اللغوية التى جعلته صاحب أسلوب متفرد عرف به فيما بعد ٠

كما كان لأخيه الأزهرى فضل كبير فى كونه جعله شغوفا بالعلم ، متشوقا اليه ، فدفع اليه بعد حفظه القرآن كتابين يحفظهما استعدادا للأزهر ، وهما : ألفية ابن مالك ، وكتاب مجموع المتون ،

---

(٣٧) محمد عويس محمد ، **طفل القرية ومشكلاته فى روايات طه حسين** ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية عن « الرعاية النفسية والاجتماعية للطفل المصرى » ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ص ٢ ٠

وأوصاه أخوه بأن يبدأ بحفظ الألفية حتى اذا فرغ منها بدأ فى الكتاب الثانى ، وكلف الصبى أن يذهب فى كل يوم الى المحكمة الشرعية ليقرأ على القاضى ما يريد أن يحفظه من الألفية » (٣٨) .

وكان القاضى عالما من علماء الأزهر ، واستطاع — على حد تعبير طه حسين — أن يؤثر فى نفسه وأن يملأه تواضعا .

وأتيح للصبى — بالاضافة الى اتقانه حفظ القرآن الكريم وألفية ابن مالك ومجموع المتون — أن يتعلم أصول التجويد حين هبط المدينة رجل من أهل القاهرة ليعمل مفتشا للطرق الزراعية ، وكان قد تعلم العلوم الدينية ثم انصرف الى المدارس فتخرج فى مدرسة الفنون والصنائع ، وقضى الصبى سنة كاملة يتردد على بيت المفتش حتى أتقن التجويد برواية حفص » (٣٩) .

وقد كان لاحاطة طه حسين — قبل الالتحاق بالأزهر — بهذه العلوم المختلفة أثر بالغ فى تكوين اتجاه ايجابى نحو العلم بمعناه الشائع فى المجتمع القروى يدعم هذا الاتجاه ما كان يلمسه من عناية أهل الريف بالعلماء واجلالهم اياهم واعجابهم بهم .

وعندما نزح طه حسين من القرية والتحق بالأزهر ، امتد اتجاهه العربى الاسلامى باختلافه الى مختلف العلوم الدينية واللغوية والأدبية التى كانت تدرس بالأزهر وتعمقه فيها .

وعلى الرغم من تبرم طه حسين بأسلوب الأزهريين وسخطه عليهم ، فقد كانت السنوات الأربع التى قضاها فى الأزهر من أهم مراحل تكوينه العقلى التى أصبحت قواما أساسيا لثقافته اللغوية والنقدية ، فكل ما يمتاز به أسلوبه من الرصانة والفصاحة ، يرجع

---

(٣٨) الأيام ، جـ ١ ، ص ٧٣ .

(٣٩) المرجع نفسه ، ص ١١٦ .

الى هذه الفترة التى تعلم فيها دروس الأدب على شيوخ الأزهــر ، وخاصة الشيخ المرصفى (٤٠) ٠

وكما تقدم فى الحديث عن حياته ، كانت معرفته بزميليه محمود الزناتى وأحمد حسن الزيات خلال حلقة الشيخ المرصفى تحولا كبيرا فى حياته ، اذ توطدت صلة هذه النخبة من الطلبة بشيخهم ، فكانوا يزورونه فى بيته ، فيتحدث معهم حديثا حرا طليقا ، ينتقد فيه أوضاع التعليم فى الأزهر وأساليبه ٠

وكما يعترف طه حسين فى مقدمة كتابه « تجديد ذكرى أبى العلاء » وهو رسالته التى تقدم بها للحصول على أول دكتوراه تمنحها الجامعة المصرية ، فان سيد بن على المرصفى كان له فضل كبير فى تنمية اهتمام طه حسين وتوجيه ميوله من النواحى الدينية واللغوية الى النواحى الأدبية والنقدية ٠

« لقد أرضى الشيخ المرصفى حاجات طه حسين العقلية والنفسية رضاء بلغ الغلبة ، وتغلغل الى أعماقه ، أرضى طموحه الى المعرفة بما فتح له من هذا العالم الجديد الزاخر بالألوان المختلفة ، وأرضى توثبه العقلى مما أثار فى عقله من وجوه النشاط ، لا يحدها حد ، ولا يعوقها معوق ، وأرضى نزوعه الى استقلال الرأى ، وانطلاق الفكر ، وحرية التعبير ٠ ولا جرم أن كان لهذه الصلة أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى والعقلى ، تكوينا سديدا حرا مستقلا ، فقد كان المرصفى بدروسه فى الأدب ، وبمسلكه فى الحياة ، وبالقيم التى يؤمن بها ، من أكبر الدعاة الى حرية الأدب والفكر » (٤١) ٠

ويتجلى اتجاه طه حسين نحو الثقافة العربية الاسلامية فى مظاهر كثيرة ، ففى كتابه « فصول فى الأدب والنقد » يذهب الى أن

---

(٤٠) عبد العزيز شرف ، **مرجع سابق** ، ص ٣٥ ٠

(٤١) محمد طه الحاجرى ، **مرجع سابق** ، صص ٢٦ ، ٢٧ ٠

« أى أثر أدبى مصرى يمكن تحليله الى عناصر ثلاثة ، بعضها أقوى من بعض بمقدار حظ المؤلف أو المنشىء ـ لهذا الأثر ـ من هذه الثقافات الثلاث المختلفة ، وهذه العناصر هى : العنصر العربى ، والعنصر الأوربى ، والعنصر المصرى القديم » (٤٢) ٠

كما أنه حين يتحدث عن الأزهر ـ على الرغم مما عاناه خلال دراسته فيه من مشقة وتعنت ـ فانه يتحدث بانصاف وموضوعية ٠

« فالأزهر هو المؤثر الأول فى الحياة المصرية الحديثة منذ اتصلت مصر بأوربا اتصالا دقيقا منظما فى أواخر القرن الثامن عشر ، فهو الذى تلقى الحضارة الحديثة من أصحاب بونابرت حين وفدوا بها الى مصر ، وهو الذى أرسل رواده يتلمسون هذه الحضارة فى مواطنها بعد أن عاد الفرنسيون الى بلادهم ، وهو الذى نقل العلوم والآداب الأوربية الى اللغة العربية أول ما نقلت » (٤٣) ٠

ومن هذا النص يبين اعتزاز طه حسين بانتمائه الى الأزهر فى بدء نشأته واعترافه بفضل الأزهر على الحياة العقلية الجديدة التى عرفتها مصر ٠

ويتضح عمق أثر الثقافة العربية الاسلامية فى التكوين الفكرى لطه حسين من ذلك الكم الهائل الذى درسه فى الأزهر من مختلف الكتب التراثية والعصرية فقد درس « مراقى الفلاح » وشرح الكفراوى ، وشرح الشيخ خالد و « الأزهرية » وقطر الندى لابن هشام ، وشرح ابن عقيل على الألفية ، والمفصل للزمخشرى ، و « الكتاب » لسيبويه فى النحو ، ودرس فى الفقه الحنفى

---

(٤٢) طه حسين ، **فصول فى الأدب والنقد** ، دار المعارف ، ص ١٠٠ ٠

(٤٣) محمد كامل الفقى ، **الازهر وأثره فى النهضة الادبية الحديثة** ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٩٦٥) مقدمة بقلم طه حسين ص ٥ ٠

« شرح الكسائى على الكنز » ، وشرح ملامسكين على الكنز ، بالاضافة الى دراسة الأدب مع الشيخ المرصفى ، حيث درس الحماسة لأبى تمام ، والكامل للمبرد ، كما درس كتاب نهج البلاغة (وكان يدرسه الشيخ محمد عبده نفسه) بالاضافة الى دروس كثيرة فى المنطق والتوحيد .

وهو يتوسع فى تفاصيل دراسته لكل هذه العلوم فى الجزء الثانى من الأيام .

(ج) الثقافة الأوربية القديمة والحديثة :

تمثل الثقافة الأوربية مكونا على جانب كبير من الأهمية من المكونات الأساسية لثقافة طه حسين وفكره ، ويتضح ذلك من معظم كتاباته واهتمامه بترجمة الآثار الأدبية الغربية الى اللغة العربية .

وقد عمل طه حسين بعد عودته من بعثته أستاذا للتاريخ القديم بالجامعة المصرية من ١٩١٩ الى ١٩٢٤ حيث أصبحت الجامعة حكومية بعد أن كانت أهلية ، فعين أستاذا للأدب العربى .

وقد بدأت رحلة طه حسين مع الثقافة الغربية بتعلمه اللغة الفرنسية ١٩٠٨ ليتمكن من متابعة المحاضرات التى كانت تلقى بها فى الجامعة الأهلية التى أنشئت فى ذلك العام وانتدب اليها كثير من الأساتذة الأجانب .

وقد ترجم طه حسين الكثير من الكتابات الغربية وعلى الأخص الفرنسية ، بدأها بترجمة كتاب « الواجب » تأليف جول سيمون .

ويذكر عبد الرحمن بدوى فى كتاب « الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين » — والذى يعد المرجع الأساسى لكل الكتابات التى تناولت حياة ومؤلفات طه حسين — أن ترجمة كتاب « الواجب »

كانت سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ، بالاشتراك مع محمد رمضان فى ٤ أجزاء » (٤٤) ٠

ومع أن بدوى يأخذ فى تعداده لكتب طه حسين بترتيب ظهورها التاريخى فان هذه المعلومة تخالف ما جاء بالدراسة البيوجرافية ـ الببليوجرافية ، التى قام بها حمدى السكوت ومارسدن جونز ، وصدرت عن الجامعة الأمريكية عن طه حسين حيث يذكر المؤلفان أن كتاب « الواجب » ترجم بالاشتراك مع محمود رمضان فى جزءين سنة ١٩١٤ (٤٥) ٠

وقد عرف كاتب هذه السطور فى مقابلة شخصية مع الشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عضو مجمع اللغة العربية أن طه حسين ومحمد « بك » رمضان ترجما كتاب « الواجب » سنة ١٩١٤ وكان مصطفى عبد الرازق وقتهما فى باريس وانتقد هذه الترجمة فى مقالين نشرهما فى مصر ٠

ويميل الكاتب الى ترجيح صدور الكتاب سنة ١٩١٤ استنادا الى أن طه حسين كان يمتلك رصيدا لا بأس به من اللغة الفرنسية يمكنه من الترجمة ، وكان فى تلك السنة قد حصل على أول دكتوراه من الجامعة المصرية عن أبى العلاء المعرى وسافر الى فرنسا فى نوفمبر ١٩١٤ ، فاذا جاز هنا الترجيح فان ذلك يشير الى أن تأثير الثقافتين العربية والأجنبية فى فكر طه حسين كان يسير فى خطين متوازيين ، وسوف يزداد رجحان هذا الاحتمال اذا أخذ فى الاعتبار أن السنوات التالية من ١٩١٥ الى ١٩٢٥ عرفت الصحف المصرية فيها طه حسين كاتبا نشيطا ، ودارسا دؤوبا لتاريخ الشعر

---

(٤٤) عبد الرحمن بدوى ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ٠

(٤٥) حمدى السكوت ومارسدن جونز ، مرجع سابق ، ص ٩٥ ٠

العربى ، وفى الوقت نفسه مترجما نشيطا ودارسا دؤوبا للثقافتين اليونانية والفرنسية .

ويذهب شكرى عياد الى أن ما دفع طه حسين الى الثقافة اليونانية عوامل حضارية وليست عوامل فكرية فحسب ، فيشير الى أن مصر عرفت فى تلك الفترة تيارين أحدهما يمثل الثورة الرومانسية ممثلة فى المنفلوطى فكرا ، ومصطفى كامل تطبيقا ، وهو تيار يميل الى المحافظة ، والثانى تيار يمثل التنوير ممثلا فى لطفى السيد ، وبينما كان الأولون (الرومانسيون) يتكلمون باسم الحق والعدل ، ويندفعون بقوة الحياة ، كان الآخرون (العقليون) يتكلمون باسم المنطق والواقع ، ويطالبون باستقامة التفكير ، وكان الفكر اليونانى ـ والفكر الأرسطى بوجه خاص ـ هو عمدة أنصار العقل ، ومن هنا كان اتجاه طه حسين الى الفكر اليونانى اتجاها يغلب عليه الفكر أكثر من الأدب » (٤٦) .

« وكان طه حسين أول من قدم الأدب اليونانى مدروسا ومشروحا للقاعدة العريضة من جمهور المثقفين من خلال الصحف والمجلات الى جانب المحاضرات فى الجامعة المصرية ، ومؤلفه « قادة الفكر » يوضح دوره فى التفسير الاجتماعى للثأافة اليونانية » (٤٧) .

وقد كتب طه حسين « قادة الفكر » ونشره سنة ١٩٢٥ ودرس فيه كلا من سقراط وأفلاطون وأرسطو وأرسطاطاليس والاسكندر ،

---

(٤٦) ابراهيم الابيارى وآخرون ، طه حسين كما يعرفه كتاب عصره ، (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٧) ، ص ١٠٩ .

(٤٧) محمد عويس محمد ، الرؤية الجديدة للثقافة اليونانية عند المفكرين العرب فى مصر ، بحث مقدم للندوة العلمية الأولى للثقافة العربية اليونانية المنعقدة بجامعة سالونيكا اليونانية ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٨١ م ، ص ٢٥ .

ويوليوس قيصر بمنهج جديد يوضحه في مقدمة الكتاب بأنه سيكون « شديد الاقتصاد فى ذكر الحوادث والأخبار والتواريخ التى تتصل بحياة الأشخاص ، لا اهمالا ، ولكن لأن آدابهم وآراءهم على اختلافها وتباين فنونها ومنازعها ظواهر اجتماعية أكثر منها ظواهر فردية ، أى أنها أثر من آثار الجماعة والبيئة أكثر منها أثرا من آثار الفرد الذى رآها وأذاعها » (٤٨) ، وهذا المنهج الذى أخذ طه حسين نفسه به فى دراسة قادة الفكر يتسق مع ما يؤمن به من أن الفرد ظاهرة اجتماعية ـ كما سيتضح فى الباب الثاني من هذا البحث ـ وهو المنهج الذى يدرس فى ضوئه الشعراء القدامى ، كما فعل فى رسالته الأولى عن أبى العلاء على نحو ما تقدم ·

وكان أول كتاب أذاعه طه حسين فى الثقافة اليونانية هو كتاب « الظاهرة الدينية عند اليونان ، وتطور الآلهة وأثرها فى المدينة » عام ١٩١٩ ، وفى عام ١٩٢٠ أصدر كتاب « صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان » وفى عام ١٩٢١ أصدر كتاب « نظام الأثينيين فى مصر » المترجم عن أرسطو ، « وكانت أول ترجمة عربية لهذا الكتاب الذى استكشفت أصوله الخطية على أوراق البردى فى بعض المقابر بمصر سنة ١٨٩١ حيث نقل الى المتحف البريطاني يومئذ · وأخذ المعنيون يشتغلون بدراسته وترجمته الى لغاتهم الأوربية ، الى أن جاء طه حسين بعد ٣٠ عاما من كشف هذا المخطوط النادر الثمين فنقله الى لغة الضاد » (٤٩) ·

« وقيمة هذا الكتاب تبدو فى أن العرب قديما عرفوا أرسطو

---

(٤٨) طه حسين ، **قادة الفكر** ، دار المعارف ، ص ٦ ·

(٤٩) محمد عبد الغنى حسن ، « أثر الثقافة اليونانية والرومانية فى طه حسين » ، الثقافة ، (القاهرية) ، ديسمبر ١٩٧٩ ، ص ٦ : ٧ ·

في صورة فلسفته التى نقلت الى العربيـــة فى عصر العباســيين ، فأثرت فى العقل العربى تأثيرا عظيما » (٥٠) ٠

ولعل طه حسين قد أراد أن يقدم فى هذا الكتـــاب مفهوما واضحا لمعنى « الديمقراطية » التى أصبحت هدفا من أهداف الحياة السياسية » (٥١) ٠

وأما عن الثقافة الأوربية الحديثة المتمثلة فى الثقافة الفرنسية فان اهتمام طه حسين يبدو من ترجماته الكثيرة عن الأدب الفرنسى ، وقد بدأت بكتاب « الواجب » لجول سيمون سنة ١٩١٤ ، ثم كتاب «روح التربية » لجوستاف لوبون سنة ١٩٢١ ، « وهذا الكتـاب وضعه جوستاف لوبون سنة ١٩٠٢ عقب التحقيق البرلمانى الذى تم فى سنة ١٨٩٩ فى ستة مجلدات ضخمة ، وهو يهدف الى تبين التربية والتعليم فى فرنسا واظهار مواطن الخلل فيهما ومعالجتهما بأنفع الوسائل ، أى أنه كتاب وضع لنقد التعليم فى فرنسا » (٥٢)٠

ويرى الكاتب أن ترجمة طه حسين لهذا الكتاب بعد مرور أقل من عشرين سنة على صدوره ، تكشف عن حرص طه حسين على ايقاف القارىء العربى على الأوضاع التعليمية فى دولة متقدمة مثل فرنسا ، وكما يتضح من مقدمة الكتـــاب ومن كتـاب طه حسين « مستقبل الثقافة فى مصر » فان كثيرا من أفكار طه حسين التربوية والتعليمية تسير على النمط الفرنسى على نحو ما سيرد بعد ٠

وقد ترجم طه حسين الكثير من القصص القصيرة والمسرحيات

---

(٥٠) محمد عويس ، « الرؤية الجديدة للثقافة اليونانية » ، مرجع سابق ، ص ٣٨ ٠

(٥١) شكرى عياد ، مرجع سابق ، ص ١١٠ ٠

(٥٢) عبد المجيد المحتسب ، طه حسين مفكرا ، الطبعة الثانية (عمان : مكتبة النهضة الاسلامية ، ١٩٨٠) ، ص ١٧٩ ٠

عن الأدب الفرنسى وكان ينقدها ويدرسها فى أكثر من كتاب من كتبه مثل « صوت باريس » و « فصول فى الأدب والنقد » و « لحظات » ، كما كانت له صداقات بالكثير من المفكرين المعاصرين مثـــل : « أندريه جيد » و « ماسينيون » وسارتر وبول فاليرى ، وقـد كتب عنهم فى « فصول فى الأدب والنقد » ٠

كما أنشأ وهو عميد لكلية الآداب سنة ١٩٤٠ قسما للغـــة الفرنسية « يزود طلابه بتعليم أحسن الكليات الفرنسية ــ على غرار السربون ــ وأكثر من البعثات ولم يبخل بالانفاق عليها ، وعمل على أن يتناول الدارسون فى رسالاتهم حتى الموضوعات الشائكة » (٥٣)، وفرض على أستاذ اللغة الفرنسية أن يلقى المحاضرات من الســـنة الأولى وليس من السنة الرابعة وحدها كمـــا كان معتادا » (٥٤) ، وكل هذا الاهتمام يوضح الى أى حد كانت الثقافة الفرنسية ــ بوجه خاص ــ مكونا أساسيا من المكونات الثقافية لطه حسين ٠

---

(٥٢) ريمون فرنسيس ، « طه حسين والأدب الفرنسى » فى : طه حسين كما يعرفه كتاب عصره ، **مرجع سابق** ص ١١٧ ٠

(٥٤) عبد العزيز شرف ، **مرجع سابق**، ص ٤٠ ٠

الفصـــل الثـــانى

(فكره السياسى والاجتماعى)

أولا : فكره السياسى .

ثانيا : فكره الاجتماعى

اولا : فكره السياسي :

لم يكن طه حسين سياسيا محترفا ككثير من أهل عصره ممن لهم صدارة في الفكر أو الأدب ، ولم يسع الى السياسة سعى غيره من أصحاب الأقلام ، بل كان طوال حياته مثالا للأديب الملتزم الذى يكيف مواقفه السياسية وفقا لالتزامه الفكرى والأدبى ·

والكاتب اذن يقرر حقيقة أن طه حسين كان أديبا فى ميدان السياسة ، فانما يتفق فى هذا مع رجاء النقاش صاحب أول مبحث فى مجال الاتجاه السياسى عند طه حسين ، حيث استنتج النقاش فى نهاية بحثه أن « خط طه حسين فى السياسة تأثر بموقفه الفكرى الى حد بعيد ، فقد كان فى البداية يؤمن بالتجديد الفكرى ، ولا يتلفت الى التجديد الاجتماعى الا قليلا ، أما فى المرحلة الأخيرة التى بدأت منذ عام ١٩٣٢ فقد آمن بالتجديد الاجتماعى ، وآمن بأنه لا قيمة لتغيير الفكر بدون تغيير المجتمع ، كذلك يذهب « النقاش » الى أن علاقات طه حسين السياسية كانت في خدمة أفكاره » (٥٥) ·

ويدعم ما سبق استقراء مواقف طه حسين التي تتفق جميعا هى وهذا الرأى وتزيده تأكدا ·

وبدءا يشير الكاتب الى أن مصـــــادر فكر طه حسين السياسى تحتاج الى جهد كبير فى تحقيقها وتصنيفها ، ذلك أن الدراسات

---

(٥٥) ابراهيم الابيارى وآخرون ، طه حسين كما يعرفه كتاب عصره ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ ·

السابقة حول طه حسين لم تتعرض احداها لهذا الجانب تعرضا مفصلا ، وانما كان معظمها يلم به الماما عابرا ، كما أن المقالات الكثيرة التى تجلى هذا الجانب المهم من جوانب فكر طه حسين غير مجموعة فى كتب ، ومازالت متناثرة فى صحف ومجلات قديمة ، يرجع أقدمها الى سنة ١٩١١ ، وتمتد الى أواسط الستينيات » (*) .

وأفكار طه حسين السياسية تنبث أيضا فى عطائه الأدبى المتاح من الكتب والقصص ، ففى أول كتاب أنتجه وهو « تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى » الذى كان أول دكتوراه قدمت الى الجامعة المصرية ، يظهر اهتمام طه حسين بأثر السياسة فى شخصية أبى العلاء المعرى ، فيدرس (ص ٤٣) الحياة السياسية فى عصر أبى العلاء ، كما يدرس اتصال أبى العلاء بالسياسة (ص ١٦٠ ، ٢٨٤) ويظهر من تحليله لبعض شعر أبى العلاء السياسى أنه يلم بفنون السياسة ، اذ يشير الى أن رأى أبى العلاء فى الحكام وفى أن الأمة مصدر السلطات وفى ضرورة الانتخاب لا الوراثة ، يساير « أحدث الآراء الافرنجية فى الحكم » (٥٦) .

وبعد عودته من بعثته يترجم طه حسين سنة ١٩٢١ كتاب « روح التربية » لجوستاف لوبون ، وهذا الكتاب كما تقدم ألفه لوبون ١٩٠٢ عقب مناقشات تمت فى البرلمان الفرنسى حول التعليم .

ويقول طه حسين فى تقديمه للكتاب :

« الشرق العربى كله ناهض فى هذه الأيام ، وليست نهضته

(★) بعد كتابة هذه السطور بنحو عامين تقدم الصحفى الناقد مصطفى عبد الغنى برسالة الى آداب عين شمس حول « فكر طه حسين السياسى » وقدم فيها جهدا طيبا لتغطية هذا الجانب .

(٥٦) طه حسين ، **تجديد ذكرى أبى العلاء** ، الطبعة الثامنة ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٦ ، ص ٢٨٤ .

سياسية محضة ، وانما تجمع الى السياسة العلم والأدب والاقتصاد والنظم الاجتماعية على اختلافها ، وكل نهضة قيمة رهينـة بشيء واحد هو صلاح التعليم ، فاذا احتاج الشرق العربى الى شيء ليصل من نهضته الى ما يريد فهو محتاج الى تعليم صالح معتمد على قواعد صـحيحة ملائمة لنفسيته وعاداته وآماله وأطواره المختلفة (٥٧) وهذا الاهتمام المبكر من طه حسين لجانب مهم من جوانب الاصلاح السياسى والاجتماعى وهو التعليم يشير الى الاطار العـام لفكر طه حسين وهو الاصلاح ، وقد ظل هذا الاهتمام لدى طه حسين بقية حياته يظهر فيما ينتج من آثار ٠

وقد كان طه حسين ينظر الى قضية الاستقلال بشكل أوسع ، فكان يكتب منددا بالاستعمار فى مختلف أشكاله ، وهو يستشف من كتابات المستشرقين نظرة الدول الغربية الى الدول الشرقية ٠ يقول طه حسين :

« اننا لم نبق كما كنا من قبل شعوبا لا يفكر فيها الغربيون الا من حيث انهـا أدوات تستغل وتستذل وتسـخر فى سـبيل المنافع والمآرب التى يسعى اليها الاستعمار ، وانما نحن شعوب قد استيقنت الأمم الغربية بأنها قد أفلتت من يدها ، وآمنت بنفسها وحقهـا » ٠٠

« كل ما نقرؤه فى كتب المستشرقين وفصولهم الطوال التى تنشرها المجلات والتى تتناول حياتنا الحديثة وآدابنا الحديثة ، انما تمهد لهذا اليوم الذى لابد من أن يجيء ومن أن يجيء فى وقت أقصر مما نظن ويظنون ، والذى سيجد الغرب فيه نفسه أمام شرق

---

(٥٧) جوستاف لبون ، روح التربية ، ترجمة طه حسين ، (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٢١) المقدمة ٠

قوى عزيز كله خصب وكله انتاج وكله أمل وكله عمل ٠٠ ولابد من أن ننظم معه صلات قوامها الاحترام والسلام » (٥٨) ٠

لقد كتب طه حسين هذا الكلام سنة ١٩٣٣ بعد عشر سنوات من صدور الدستور ، وقد كانت له نظرته الى هذا الدستور والى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى سبق الدستور ، اذ كان ينظـر اليهما بتفاؤل على عكس نظرة كثير من المصريين ، ولم يكن تفاؤله نابعا من فراغ ، بل كان يستند الى أساس واقعى ، ففى أبريـــل سنة ١٩٢٣ كان فى بلجيكا لتمثيل مصر فى المؤتمـــر الخامس للعلوم التاريخية ، وكان مؤتمرا ضخما ، اذ زاد عدد أعضائه على الألف ، وزاد عدد ما ألقى فيه من بحوث على ثلاثمائة ٠ وقد وجد طه حسين نفسه ممثلا لمصر بين دول من القارات المختلفة ، ووجد أن روسيا والمانيا لم تشتركا لأنهما لم تدعيا ، ولعل هذا أثار فى نفسه شيئا من الاعتزاز ببلده ، فكان يكتب رسالة من بلجيكا الى مجلة السياسة لتغطية المؤتمر الذى افتتحه الملك والملكة ، وذكرت الملكة فى حديث لها معه : أنها سعدت بزيارة مصر ، كما ورد اسم مصر فى كلمة الافتتاح التى حيا بها رئيس المؤتمر الملك والملكة ، وكتب طه حسين :

« يجب أن أثنى على ثروت باشـــا على تصريح ٢٨ فبراير ، وعلى اعلان الاستقلال فى ١٥ مارس ، فالناس فى مصر يزدرون هذا كله ، ويسخرون منه ، ويرون أنا غير مستقلين ٠ وقد يكون من الحق أنا غير مستقلين بالفعل ، وأننا لن نستقل بالفعل الا يوم أن يجلو الانجليز ، ولكن مـن الحق أيضا أن الأجـــانب الذيـن لا يشتغلون بالسياسة والذين يشتغلون بها ينظرون الى مصر كما

---

(٥٨) طه حسين ، « نهضتنا الادبية وما ينقصها » ، **مجلة الهلال (القاهرة)** نوفمبر ١٩٣٣ ، ص ٥ ٠

ينظرون الى انجلترا ، أى أنهم يعترفون بأن مصر مستقلة كما أن انجلترا مستقلة وكما أن بولونيا مستقلة » (٥٩) ٠

ويلاحظ على هذا النص تأثـــره بمبادىء حزب الأمة الذى يترأسه أحمد لطفى السيد ، وهو حزب كبار الملاك والاقطاعيين — أصحاب المصالح الحقيقية — كما كان يسميهم لطفى السيد ٠ يبدو هذا التأثر أكثر وضوحا اذا أخذنا فى الاعتبار أن هذا الحزب كان يتجنب الصدام مع الانجليز ، ويعتقد أن الاستقلال يتم عن طريق التفاوض ، وظل هذا المبدأ ملازما لحزب الأحرار الدستوريين ٠

وهذا الموقف يتعارض مع موقف حزب الوفد الذى قاد زعماؤه ثورة ١٩١٩ ، وقد كان الوفد صاحب الأغلبية فى ذلك الوقت ، بينما كان حزب الأمة يتلاشى شيئا فشيئا ، وكان طه حسين فى ذلك الوقت ضد حزب الوفد بحكم انتمائه الى أحمد لطفى السيد كمفكر ، أكثر من انتمائه لحزب الأمة كحزب ، وهو يذكر فى احدى مقالاته عن المؤتمر : أنه جوبه بسؤال عن اشتراك مصر فى عصبة الأمم فأجاب بأنها ستشترك عما قريب ، ورجا رئيس الوزراء فى مقالته أن يحقق له ما ذهب اليه ، وأن يسعى فى اشتراك مصر — كدولة مستقلة — فى عصبة الأمم » (٦٠) ٠

وقد تمخض حزب الأمة عن حزب الأحرار الدستوريين رسميا سنة ١٩٢٢ ، وكان يضم قطاعا عريضا من المثقفين التحرريين من أمثال : لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل الذى ترأس تحرير جريدة السياسة لسان حال هذا الحزب ، ومصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق أصدقاء طه حسين ٠ فوجد طه حسين نفســه

---

(٥٩) طه حسين ، من بعيد ، الأعمال الكاملة لطه حسين ، م ١٢ (بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٤) ، ص ٦٥ ٠

(٦٠) المرجع السابق ، ص ٩٤ ٠

مرتبطا بهذا الحزب الذى يشـــبع ميوله فى التحـــرر الفكرى ، بالاضـــافة الى أن حزب الوفد « كان فى ذلك الوقت حزبا حديث التكوين ليس له برنامج اجتماعى واضح يحسم قضية ما فى الفكر الاجتماعى » (٦١) .

وقد كان لهذه الصفوة من المفكرين دور بارز فى وضع أسس نهضة فكرية تواكب النهضة السياسية والاقتصادية التى أفرزتها ثورة ١٩١٩ .

وقد أثيرت فى ذلك الوقت أشـــــهر قضيتين فكريتين فى النصف الأول من القرن العشرين ، وهما القضيتان اللتان تفجرتا بسبب صدور كتابى « الاسلام وأصول الحكم » الذى ألفه الشيخ على عبد الرازق ، و « فى الشعر الجاهلى » الذى ألفه طه حسين .

وقد تطاير شرر المعركتين الفكريتين اللتين نشـــأتا بسبب الكتابين حتى وصل الى البرلمان ، وقدم طه حسين الى « النيـــابة العموميـــة » ليحاكم بسبب آرائه فى هذا الكتـــاب ، وعزل على عبد الرازق من القضاء ومن هيئة كبار العلماء « وأدى كتـــاب على عبد الرازق الى اقالة وزير واستقالة ثلاثة وزراء ، وانهيـــار ائتلاف وزارى ، وقيام أزمة سياسية ضخمة » (٦٢) .

كذلك تسبب طه حسين فى أزمة وزارية كادت تطيح بالوزارة ، فعندما أصرت الأغلبية الوفدية ــ وهى فى مقاعد المعارضة ــ على اقالة طه حسين هدد عدلى باشا رئيس الوزارة بالاســـتقالة اذا أصيب طه حسين بأى ضرر ، مما دفع سعد زغلول زعيم الأغلبية

---

(٦١) عبد العظيم أنيس ، « فكر طه حسين الاجتماعى ومواقفه » ، **مجلـة الطليعة** (القاهرية) ، ديسمبر ، ١٩٧٣ ، ص ١٥٥ .

(٦٢) محمود عوض ، **أفكار ضد الرصاص** ، (القاهرة : دار المعـارف ، اقرأ ، أكتوبر ١٩٧٢) ، ص ١٤١ .

الوفدية الى التدخـــل ، فطلب من حزبه ألا يطرح الثقة بالوزارة الائتلافية التى يرأسها عدلى ، وانتهى الأمر بتشكيل لجنة لوضع تقرير عن الكتاب ، وأحيل الأمر الى النيابة » (٦٣) ٠

وقد أسفر تحقيق النيابة معه عن تخييب ظن المبلغين عن التهم التى وجهت اليه ، وانتهى الى حفظ التحقيق اداريا لعـدم توافر القصد الجنـــائى ، حيث أقر المؤلف أنه أورد ما أورده من عبارات ـ وهو مخطىء فيها ـ مستهدفا البحث العلمى على النحو الذى تراءى له ، لا بقصد التعدى على الدين (٦٤) ، ولكن وصول الأمر الى النيابة ـ فى حد ذاته ـ يمثل مصادرة للفكر وحجرا على حرية البحث العلمى ٠

وشهدت السنوات التالية لهذه الأزمة تحولا خطيرا فى الاتجاه السياسى لطه حسين ، ففى سنة ١٩٣٢ ـ وكان عميدا لكليـــة الآداب ـ طلبت منه حكومة صدقى باشا التى فرضها الملك أن يرأس تحرير جريدة الشعب التى يصدرها حزب الشعب الذى أسسه صدقى بعد مجيئه للحكم ، فرفض طه حسين ، ايمانا بأن حكومة صدقى الرجعية لا يمكن بحال أن يتقبلها الشعب أو تسعى فى مصالح الشعب ٠ ومما زاد الطين بلة أنه رفض الموافقة على منح بعض الدكتوراهات الفخرية التى طلبت الوزارة منحهـــا لبعض السياسيين ، وحدثت أزمة فى البرلمان وامتدت الى الشـــارع المصرى ، انتهت بنقل طه حسين الى وزارة المعارف ، ثم اســـتقالة مدير الجامعة احتجاجا على هذا النقل على نحو ما سبق بيانه فى الفصول السابقة ٠

---

(٦٣) المرجع السابق ، ص ١٥٧ ٠

(٦٤) خيرى شلبى ، «قرار النيابة ضد طه حسين حول كتاب الشعر الجاهلى ، وثيقة أدبية » ، مجلة الهلال (القاهرية) ، يوليو ١٩٧٠ ، ص ١٨٧ ٠

وقد خاض طه حسين هذه المعركة التى أسفرت عن قطع مورد رزقه ، بل وصلت الى اخراجه من مسكنه (٦٥) الذى كان يستأجره بوصفه أستاذا فى الجامعة ، خاض هذه المعركة ثقة منه فى أن الجامعة يجب أن تظل غير خاضعة للتيارات السياسية ، ومتابعة ما نشرته الصحف فى تلك الفترة عن هذه الأزمة ، تكشف عن وقوفه بشدة ضد المساس باستقلال الجامعة ، الأمر الذى سيبين أكثر وضوحا عند الحديث عن آرائه فى التعليم الجامعى فيما بعد ٠

وفى مارس ١٩٣٣ عرض عليه حزب الوفد أن يكتب لجريدة كوكب الشرق التى كان يصدرها « حافظ عوض » فقبل ، ولكنه لم يلبث أن اختلف معه ، فترك كوكب الشرق ، واشترى امتياز جريدة « الوادى » وتولى الاشراف على تحريرها حتى ديسمبر ١٩٣٤ (٦٦) ، وكان خلافه مع حافظ عوض بسبب امتناع حافظ عوض عن دفع غرامة حكمت بها المحكمة عليه ، وعلى محمد حسين هيكل وطه حسين ، مما يؤكد أن طه حسين مع حاجته الى العمل وهو مفصول من عمله الرسمى ظل يحافظ على مبادئه ٠

وكان تحول طه حسين عن حزب الأحرار الدستوريين طبيعيا ، فقد كان الموقف الذى وقفته معه الجماهير والطلاب والرأى العام ممثلا فى الصحافة ضد طغيان الوزارة كفيلا بأن يجعل تعاطفه مع حزب الوفد ـ حزب أغلبية الشعب ـ تعاطفا منطقيا وعميقا بعد أن تأكد له أن الشعب بدأ يستنير ويساند قضايا الحريات وفى مقدمتها حرية الجامعة ٠

وقد ارتبط بهذا التحول الفكرى لطه حسين تحول عملى يدعم

---

(٦٥) محمد حسن الزيات ، « ما بعد الأيام » مذكرات منشورة بمجلة المصور (القاهرية) العدد الصادر فى ١٢ فبراير ١٩٨٢ ، ص ٥٣ ٠

(٦٦) عبد الرحمن بدوى ، مرجع سابق ، ص ١٦ ٠

هذا الاتجاه الجديد ، فقد رسخ في ذهنـه أن تغيير المجتمع عن طريق التنوير هو الوسيلة الوحيدة ليتمكن من مواجهة مستغليه ومستعبديه ، فانهالت مقالاته الصحفية تندد بفساد الحكومة بعنف ، ثم بدأت علاقته بالوفد تتوطد شيئا فشيئا ، حتى اختاره نجيب الهلالى مستشارا لوزارة المعارف سنة ١٩٤٢ وتحققت فى عهده مجانية التعليم الابتدائى ، كما بذل جهدا كبيرا فى انشاء جامعة الاسكندرية التى انتدب ـ بعد انشائها ـ مديرا لها ، ورأس سنة ١٩٤٥ مجلة الكاتب المصرى ، وكتب فى العدد الأول منها مطالبا بعبارة صريحة بانهاء الاحتلال البريطانى ٠

« وقد كان نظام الاحتلال والتسلط السياسى شيئا يمكن الاعتذار عنه قبل الحرب الماضية وبين الحربين ، فأما الآن وقد تقرر نظام الأمن الاجتماعى ، وأصبحت الأمم المتحدة كلها ضامنة لاستقلال الأمم المتحدة كلها ، فلم يبق للاحتلال ولا لسياسة التسلط معنى يمكن فهمه أو الاعتذار عنه ٠

يجب أن تخلى بريطانيا بين أمم الشرق العربى وبين حقها الكامل فى الاستقلال (٦٧) ، وأصدر طه حسين كتبه : « أحلام شهرزاد » و « المعذبون فى الأرض » و « شجرة البؤس » وهى روايات وقصص قصيرة ذات طابع سياسى ـ اجتماعى صريح الدعوة الى التغيير « عكست ايمانه بالتجديد الاجتماعى وبضرورة رفع الظلم الاجتماعى عن الطبقات الشعبية والدعوة الى تعميم التعليم وغرس القيم الروحية فى المجتمع فى نفس الوقت الذى كان فيه الشعب المصرى يعانى من الأزمات الاقتصادية والسياسية » (٦٨) ٠

---

(٦٧) طه حسين ، « بريطانيا العظمى والشرق الأدنى » ، **مجلة الكاتب المصرى** ، العدد الأول ، ١٩٤٥ ، صص ١١٩ ، ١٢٠ ٠

(٦٨) سها شوكت أحمد الخيال ، « الفن القصصى عند طه حسين » رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٣ ٠

وبقيام ثورة ١٩٥٢ بدأت أفكار طه حسين التى حقق الكثير منها خلال توليه وزارة المعارف من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ تعرف طريقها الى التحقق ، فتحقق الجلاء سنة ١٩٥٤ ، وكتب طه حسين يلوم الدول الكبرى على تسابقها فى التنكيل بالشعوب الضعيفة ويحلل سياستها الاستعمارية :

« فهذه الدول العظمى التى تسود فى الشرق والغرب والتى تملك من القوة ما تملك وتقهر بهـا الضعفاء ، ليست آمنـة ولا مطمئنة ، وانما هى تعيش على الخوف ، تخاف من العالم الذى ليس حرا ، وتشفق من أن يغير عليها بليل أو نهار ، فهى تكيد له ، وتأتمر به ، ويخاف بعضها من بعض ، ويمكر بعضـها ببعض ، وتتبادل فيما بينها علاقات ظاهرها الصفو والود ، وباطنها الخوف والحذر .

انظر الى بريطانيا العظمى .. فيم تنكيلها بمن تنكل بهم ؟ وهل يغنى عنها ما تصنعه فى كينيا أو فى جيانا شيئا ؟ وانظر الى فرنسا .. فيم تسفك دماء أبنائها فى الهند الصينية ؟ وفيم تعرض أبناءها فى شمال أفريقيا لما يتعرضون له فى كل يـوم من هذا الموت ؟ » .

« يجب أن يستيقن المصريون ـ كمـا استيقنت الشعوب المجاهدة دائما ـ أن الزمان قد اسـتدار ، وأن القوة الصحيحة الخصـبة المنتجة قد انتقلت من أقويـاء الأمس الى ضـعفاء اليـوم » (٦٩) .

ثانيا : فكره الاجتماعى :

يتخذ فكر طه حسين الاجتماعى أكثـر من مسار مختلف ،

---

(٦٩) طه حسين ، « العالم الحر » ، **جريدة الجمهورية** ، (**القاهرية**) ٢ فبراير ١٩٥٤ .

ولكنه ينتهي الى غاية واحدة هي الاصلاح • وقد تباينت أنماط الدعوات الاصلاحية عند طه حسين متخذة لنفسها تلك المسارات والأشكال المختلفة وفقا للواقع السياسي المرحلي الذي كانت تعيشه الأمة المصرية ، فأحيانا تكون الدعوة الاصلاحية في صورة مقالات صحفية مباشرة ، وأحيانا أخرى تكون متضمنة في أعماله القصصية والأدبية كما قد يستخدم « الاسقاط » في دراساته التاريخية •

وقد يكون من العسير تحديد الخط الفاصل بين الفكرين : السياسي والاجتماعي عند طه حسين بالذات ، لما كان معروفا في كتاباته من حرية وتمرد يتأبيان على مختلف أنماط التأطير الأيديولوجي من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن القضايا التي كانت تشغله وهي : الديمقراطية والحرية والاصلاح والعدل الاجتماعي والمساواة وتكافؤ الفرص التعليمية ، كل هذه القضايا يمكن النظر اليها من منظور سياسي وفي الوقت نفسه من منظور اجتماعي •

ولا ينبغي اغفال أن معظم هذه القضايا — ان لم يكن كلها — لم تكن عند طه حسين غايات في ذواتها ، بقدر ما كانت وسائل الى غاية أساسية باح عليها دائما وهي : « الحضارة » ، وتتضمن هذه الفلسفة بشكل خاص في كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » حيث يربط بين القوة العسكرية والاستقلال الاقتصادي ، وبين الاستقلال العلمي والأدبي والفني ، وبين الحرية ، حتى نصل الى ما وصلت اليه الشعوب المتقدمة في أوربا وأمريكا من تقدم وحضارة •

ومحاولة تلمس جذور الفكر الاجتماعي عند طه حسين يمكن أن تلقى شيئا من الضوء على فلسفة هذا الفكر وأبعاده المختلفة ، فطه حسين اختار « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » موضوعا لرسالة الدكتوراه التي قدمها الى السوربون تحت اشراف رائد من رواد علم الاجتماع هو « اميل دوركايم » ، وهذه النقطة

غاية فى الأهمية ، فابن خلدون صاحب منهج فى مقدمته يميل الى التفسير الاجتماعى للوقائع التاريخيــــة ، وطه حســين يقول فى رسالته : « ان ابن خلدون اذا لم يكن قد حقق غايته التى طمح اليها من الظفر بمفتاح كل الوقائع التاريخية فانه قد يكون الوحيد الذى استطاع بذكائه ورسوخ معرفته الواسعة جدا أن يقدم لتاريخ العالم الاسلامى شرحا صادقا فى معظمه » (٧٠) ، كما أن ابن خلدون وصل من خلال فلسفته التاريخية الى « أن يقرر عدة ظواهـــــر اجتماعية أعم من التاريخ الاسلامى ، لا عن طريق المصادفة ، ولكن عن طريق البحث الحصيف الدقيق الذى وضع أول حجر فى أساس الفلسفة الاجتماعية » (٧١) ٠

وأما عن دوركايم فان طه حسين يذكر فى الجزء الثالث من الأيام ، حين يتحدث عن ثــورة ١٩١٩ « أنه كان متأثــرا بدروس « دوركايم » فى علم الاجتماع ، وأن « دوركايم » أنفق عاما كاملا يدون لتلاميذه مذهب الفيلسوف الفرنسى « سان سيمون » (٧٢) ، الذى يقوم على أن أمور الحكم الصالح يجب أن تصير الى العلماء الذين يستطيعون أن يلائموا بين نتائج العلم على اختلافها ، وبين حاجات الناس وطاقتهم واستعدادهم للتطور والمضى فى ســبيل الرقى (٧٣) ، ويتكرر ذكر « دوركايم » كثيرا فى هذا الجزء من الأيام ، مؤكدا طه حسين حبه واعجابه « الذى يوشـــك أن يبلغ

(٧٠ ، ٧١) طه حسين ، « فهم ابن خلدون للمجتمع » **مجلة الهلال** ، (القاهرية)، ديسمبر ، ١٩٦٧ ، ص ٩٥ ٠

(٧٢) سان سيمون (١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) مفكر اشتراكى ثائر ، كان وثيق الصلة بأحد اجنحة الثورة الفرنسية ، وشارك شخصيا بالسلاح فى حرب الاستقلال الأمريكية ، وهو مادى وهاجم بعنف الفلسفة المثالية ، ودافع عن النظرية الجبرية ـ عبد العظيم أنيس ، **مرجع سابق** ، ص ١٥٢ ٠

(٧٣) طه حسين ، **الأيام** ، جـ ٣ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠) ، ص ١٥٨ ٠

الفتون » بهذا الأستاذ · وبهذا يتحدد مصدر مهم من مصـــادر فكر طه حســـين الاجتماعى ، وان كان بعض الباحثين يــرى أن طه حسين كان مهيأ قبل ابتعاثه الى فرنســـا لتقبل هذه الفلسفة مستندا الى أن رسالته عن أبى العلاء حوت أفكارا تميل الى تحليل الوقائع التاريخية تحليلا ماديا (٧٤) ·

ويرجع هؤلاء الباحثون هذا التهيؤ عند طه حسين الى ما درسه فى الأزهر حول قضية الجبر والاختيار التى أثارها المعتزلة فى الاســـلام ·

ومع أن هـــذا الاجتهاد لا يخلو من وجاهة ، الا أن الكاتب يرجح أن يكون تهيؤ طه حسين لتقبل فلسفة سان سيمون لا يرجع الى دراسته بالأزهر بقدر ما يرجع الى الواقع الاجتماعى الذى عاشه طه حسين ، بما فيه من علل تاريخية كالفقر والجهل والمرض ، وما فيه من فوارق اجتماعية صارخة ·

ويســـتند الكاتب فى هذا الترجيح الى أن قضية « الجبر والاختيار » التى تدرس فى علم الكلام (التوحيد) لم تكن تشغل طه حسين ابان درسه فى الأزهر على ما يتضح فى الجزء الثانى من الأيام ، حيث لم يصب طه حسين من دروس الأزهر ــ فيما عدا دروس النحو والفقه ودروس الأدب ــ قدرا يمكن أن يكون لديه ميلا أو اتجاها ·

أيا ما كان الأمر ، فان طه حسين كان يصدر عن منهج خاص وضعه لنفسه حين يطرق مسألة الاصلاح الاجتماعى ، وهذا المنهج

---

(٧٤) من هؤلاء الباحثين : عبد العظيم أنيس ، **مرجع سابق** ، ص ١٥٣ ، ومحمود أمين العالم ، « طه حسين مفكرا » ، **مجلة الهلال** (القاهرية) ، فبراير ١٩٦٦ ، ص ١١٦ وما بعدها ·

يدخل فى تكوينه الأساسى الاسلامى الذى يقوم الاصلاح فيه على التكافل والتضامن ·

وتجدر الاشارة الى أن طه حسين لم يفرد كتابا مستقلا لهذا الغرض ، ولكن استقراء كتاباته يجعل الكاتب يقف على حدود منهجه ، فكتاباه « نقد واصلاح » و « بين بين » تكونا من مجموعة مقالات نشرت على فترات متباعدة يغلب عليها الطابع السياسى - الاجتماعى ·

« وأهم مؤلف له فى التفكير الاجتماعى انما هو « مستقبل الثقافة فى مصر » الصادر فى سنة ١٩٣٨ ، ان صدور هذا الكتاب فى هذا التاريخ يلقى ضوءا على مضمونه ، ففى ١٩٣٦ وقعت مصر المعاهدة الانجليزية – المصرية ، التى أنهت – رسميا – الاحتلال ، وفى ١٩٣٧ وقعت اتفاقية مونترو التى ألغت الامتيازات ، فنشأ من جراء ذلك شعور عام بحلول عهد جديد من الحياة الوطنية (٧٥) ، وقد كان طه حسين متفائلا – ككل المصريين – بهذه المعاهدة فى البداية ، فقد كتب بعد عام واحد من امضائها :

« اطمأنت قلوب المصريين لأن حلفاءهم الانجليز قد وفوا لهم بما عاهدوهم عليه من احترام الاستقلال ، والاعتراف بالكرامة ، والاحتفاظ لهم بالمودة والحب على أساس من الحق والعدل والمساواة » (٧٦) ·

ووفد وفد من الشباب الجامعى يسألون طه حسين عما يجب أن تكون عليه مصر بعد المعاهدة ؟ فأجابهم الى سؤالهم ، ثم وضع

---

(٧٥) ألبرت حورانى ، **الفكر العربى فى عصر النهضة ١٧٩٨–١٩٣٩** ، ترجمة كريم عزقول ، (بيروت : دار النهار ، ١٩٦٨) ، ص ٣٩٠ ·

(٧٦) طه حسين ، **بين بين** ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٢) ، ص ٤٦ ·

هذا الكتاب « مستقبل الثقافة » وهو « التعليم لكل أبناء الشعب » ٠

وتستند فلسفة تعميم التعليم التى يتبناها طه حسين الى أسس منطقية سيتعرض لها الباحث فى الفصل التالى ، ومنها ما يتصل بالوضع الاجتماعى ، اذ يؤمن طه حسين بأن الغنى والفقر « عرضان من أعراض الدنيا لا ينبغى أن يكون لهما أثر فى تحقيق العدل والمساواة بين الناس » (٧٧) ٠

بل انه يذهب الى أن اهتمام الدولة يجب أن يتجه الى الفقراء أكثر من اتجاهه الى الأغنياء ، « فاذا احتاج الوطن أن يذود عنه أبناؤه غارة العدو ، فلن يختص الأغنياء بشرف هذا الدفاع ، ولعل حظ الفقراء من هذا الشرف أن يكون أعظم من حظ الأغنياء ، ولعل الأغنياء أن يشتروا بالمال سلامة أبنائهم واعفاءهم من الجندية ، فأيهما ينبغى أن يكون آثر الى الدولة : من يبذل فى سبيل الدفاع عن الوطن دراهم ودنانير أم من يزهق فى سبيل هذا الدفاع نفسه ، ويريق دمه ، ويعرض أهله وأبناءه للبؤس والضنك وسوء الحال ؟ » (٧٨) ٠

وكان تصدى طه حسين للعوامل الهدامة فى المجتمع المصرى كالجهل والتخلف والمرض والفقر يظهر بصورة أوضح فى رواياته وقصصه ٠

وكما يربط فى مستقبل الثقافة بين الاستقلال السياسى والتعليم ، فانه يربط كذلك بين التعليم وبين رؤيته الاجتماعية ، حين يدعو الى الغاء الفروق بين الطبقات فى « دعاء الكروان » والى ديمقراطية التعليم ونشره بين طبقات الشعب فى « أحلام شهرزاد » ،

---

(٧٧) طه حسين ، **مستقبل الثقافة فى مصر** ، (القاهرة : مطبعة المعارف ومكتبتها فى مصر ، ١٩٣٨ ، ص ١١٠ ٠

(٧٨) **المرجع السابق** ، ص ١١٠ ٠

ومن هنا نجد أن العلم والمعرفة ينتصران على الجهل والأمية فى أعماله القصصية والروائية ، التى تعكس رغبته الصادقة فى أن تتغلب مصر على عوامل الجهل والتخلف ، وأن تتقدم فى ركب العلم والحضارة ، مما يدعو الى القول بأن أعماله القصصية تكتسب قيمة اجتماعية كبيرة » (٧٩) .

ولا تسير روايات طه حسين ذات المضمون الاجتماعى على وتيرة واحدة من الوجهة الفنية ، بل انها تتخذ عدة أشكال تتغير وفقا لطبيعة الفكرة التى يريد الكاتب أن يتناولها ، وهذه الروايات « لا تكاد الواحدة منها تشبه الأخرى ، « فالأيام » قصة الفرد يصارع الحياة بكل ما تضعه الحياة فى طريقه من عراقيل ، و « شجرة البؤس » قصة الأسرة ، و « دعاء الكروان » قصة التقاليد والفتاة المغلوبة على أمرها ، وأديب « قصة الحضارات المختلفة » (٨٠) .

ولكن ما يجمعها جميعا هو اهتمام الكاتب الدائم بالاشارة الى العوامل السلبية التى تنشأ عن الظلم ، وتعطل العدل الاجتماعى والحرية السياسية معا ، ومن هذه العوامل ما يرتبط بفساد أداة الحكم كالمحاباة فى تطبيق القوانين الادارية على أفراد الشعب »(٨١) .

وهناك اهتمام كبير من الدارسين بصورة المجتمع الريفى التى يقدمها طه حسين فى أعماله بصفة عامة ، وأعماله القصصية بصفة خاصة ، يصاحبه اغفال من جانب هؤلاء الدارسين لجانب آخر مهم هو الجانب العمالى ،فقد كتب طه حسين مقالات كثيرة لم تجمع فى كتبه المطبوعة ، وما زالت منبثة فى الصحف التى نشرت فيها عن المشكلات التى كان يعانيها العمال ، وخصوصا ما نالهم من ظلم فى

---

(٧٩) سها الخيال ، **مرجع سابق** ، صص ٢٤٦ ـ ٢٤٨ .

(٨٠) ثروت أباظة ، « الكاتب بين الاشكال المختلفة » ، **جريدة الجمهورية** ، (**القاهرية**) ، العدد الصادر فى ١٨ يناير ، ١٩٦٩ .

(٨١) سها الخيال ، **مرجع سابق** ، ص ٢٣٠ .

عهد وزارة اسماعيل صدقى التى فصلت منهم عددا ، مما دفع بهم الى الاصطدام بالبوليس ثم الاضراب ٠

ويرى طه حسين أنه من الضرورى توفير المكانة الملائمة للعمال ، وتوفير الكرامة القومية لهم ، كما يرى أن العلاقة بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال والشركات يجب أن تقوم على أســاس أن العمال شركاء فى الأمر ، وأن الوقت الذى كانت الشركات تنظر فيه الى العمال كما تنظر الى أدوات العمل قد انقضى ٠٠ » (٨٢) ٠

ويرى بعض الباحثين أن اللوحات التى رسمها طـه حسين للأوضاع البغيضة فى المجتمع المصرى ، لاسيما المجتمع الريفى ، والتى عبر عنها بصورة مؤثرة ومذهلة فى واقعيتها ودقتها ، تشكل اتهاما خطيرا للنظام السياسى والدينى والاجتماعى الذى كان سائدا فى مصر » (٨٣) ٠

ومن هنا فان الدور الذى قام به طه حسين فى تعرية هـذه الأوضاع ، وفضح هذه النظم ، يمثل — من وجهة نظر الباحث — دورا طليعيا رائدا وبارزا أيضا اذا ما قورن بغيره من أدوار مفكرى عصره فى هذا المضمار ٠

---

(٨٢) عبد العزيز شرف ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ٠

(٨٣) على سعد ، « طه حسين : الوحـدة فى التنوع » مجـلة الآداب (البيروتية) مارس ، ١٩٧٤ ، ص ٨ ٠

الفصل الثالث

(السمات العامة لفكر طه حسين التربوى)

١ ـ الديمقراطية

٢ ـ الحريـــة

٣ ـ الاقتبـــاس

يمثل فكر طه حسين التربوى حلقة مميزة فى تطور الفكر التربوى فى مصر خلال هذا القرن · واذا كان تحديد هذا الفكر بحدود فاصلة أمرا ممكنا ، فان غير الممكن هو رد هذا الفكر الى أصوله ومنابعه الأصلية الأولى ، ذلك أن طه حسين كان فى عقيدته التربوية مصلحا اجتماعيا بالدرجة الأولى ، قبل أن يكون عالما من علماء التربية المخلصين لها ، ومن هنا كانت خلافاته مع القبانى وغيره من رجال التربية ترجع فى حقيقتها الى تباين المنطلقات ، واختلاف الغايات فى بعض الأحيان ·

فطه حسين كان أديبا يتعرض لمشكلات التربية والتعليم من منطلق الوظيفة الاجتماعية للأديب ، وهذه الوظيفة تتحدد وفقا لأيديولوجية الأديب من ناحية ، وتخضع ـ فى معطياتها ـ للظروف السائدة فى عصره من ناحية أخرى ·

وكان الدور الذى اضطلع به طه حسين هو دور التنوير وبناء نهضة فكرية تكون أساسا سليما لنهضة اجتماعية سياسية اقتصادية تتواءم مع المكانة التاريخية لمصر ، ومن هنا فان معالجته لقضايا التربية والتعليم لا تقوم على أسس فنية ـ من الوجهة التربوية ـ بقدر ما تقوم على أسس فكرية اجتماعية ·

ويمكن تحديد ثلاث سمات عامة تميز فكر طه حسين التربوى هى :

١ ـ الديمقراطية :

شغلت قضية الديمقراطية طه حسين فتحدث عنها فى معظم

كتبه ومقالاته ، وحتى فى دراساته للتاريخ الاسلامى فى الفتنة الكبرى بأجزائه الثلاثة : « الشيخان وعثمان وعلى وبنوه » اهتم بالتفسير الاجتماعى للأحداث التاريخية ، وتناول بالدراسة والتحليل مبدأ الشورى فى اختيار الحاكم .

والديمقراطية السياسية التى نادى بها طه حسين لم تكن هدفا لذاتها عنده ، بل كانت تتضامن مع الحرية والمساواة والعدل الاجتماعى ، لتكون جميعها وسائل للتغيير الاجتماعى والانتقال الى طور من التقدم يجب أن ترقى مصر اليه .

والتعليم ركيزة التغيير الاجتماعى الأساسية ووسيلته الفعالة ، فيجب – اذن – أن يتاح هذا التعليم لكل أبناء الشعب ، وأن لا يحال بين الطبقات الفقيرة وبين التعليم الذى يمثل المخرج الوحيد الممكن من دائرة الأوبئة الاجتماعية : الفقر والجهل والمرض .

وعلى أساس من هذه الرؤية قامت سياسة طه حسين التى نادت بأن يكون حق الناس فى التعليم بدهيا وطبيعيا كحقهم فى الماء والهواء ، وكانت هذه السياسة موضع انتقاد من بعض رجال التربية المتخصصين الذين كانوا يحتجون بحجج سيجىء بيانها فيما بعد .

ويستند طه حسين فى مناداته بديمقراطية التعليم الى الدستور ، ويتمسك بنصوص هذا الدستور عند حديثه عن الديمقراطية ، وقد سلف القول فى الحديث عن فكره السياسى بأنه كان ينظر الى النصوص السياسية والدستورية بشىء من التفاؤل والثقة . ولعل هذه النظرة لا تخلو من ذكاء ، فهى تضع القيادة الحاكمة فى موقف الحرج أمام الرأى العام الذى يتلقف آراء طه حسين وغيره من المفكرين ، ويتذرع بها فى مطالبته بالاصلاح الاجتماعى والعدالة .

وطه حسين من هذا المنطلق يستنكر أن تجمع الحكومة بين

النص فى الدستور على أن تصير أمور الشعب الى الشعب ، وفى الوقت نفسه تمارس سياسة التقتير فى تعليم الشعب « فالديمقراطية لا تتفق مع الجهل الا أن تقوم على الكذب والخداع والحياة النيابية لا تتفق مع الجهل الا أن تكون عبثا وتضليلا » (٨٤) ٠

ويرى طه حسين أن الدستور حين يقرر أن الشعب سيد نفسه ، وأنه مصدر السلطات فانه لا ينبغى للقانون أن يفرق بين أبناء الشعب وأن يبيح لبعضهم الرقى والامتياز ، ويحظر ذلك على بعضهم الآخر ، فالسلطات لا تصدر عن الجهل ولا عن الغفلة ولا عن الغباء ، ولا عن الرق ، ولا عن الذلة ، ولا عن الخنوع ، وانما تصدر السلطات عن النفوس المثقفة المهذبة ، الكريمة ، العزيزة » (٨٥) ٠

فالديمقراطية الصحيحة اذا فرضت المساواة بين أبناء الشعب فى الحقوق والواجبات ، فهى لا تقبل أن يفرق بينهم فى حرية التعليم ، وأن يقصر لون من ألوان التعليم على جماعة من أبناء الشعب ، بل يجب أن يتعلم الشعب الى أقصى حدود التعليم ، ففى ذلك وحده الوسيلة الى أن يعرف الشعب مواضع الظلم ، ويحاسب الذين يظلمونه ويذلونه ويستأثرون بثمرات عمله وجده » (٨٦) ٠

وقد واجهت دعوة طه حسين الى ديمقراطية التعليم حربا ضروسا شنها عليه بعض رجال التربية ، وسار مسيرتهم بعض مؤرخى التربية والتعليم الذين إتهموا طه حسين بأنه صاحب سياسة أطلقوا عليها اسم « سياسة الكم » ٠

وقد انتقد بعض الباحثين (٨٧) هذه التسمية التى لا تخلو

---

(٨٤) مستقبل الثقافة فى مصر ، ص ١١٣ ٠

(٨٥) المرجع السابق ، ص ١١٥ ٠

(٨٦) المرجع السابق ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ ٠

(٨٧) حسان محمد حسان ، « اتجاهات الفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٩٢٣ ــ ١٩٥٧ » ، رسالة ماجستير ، تربية عين شمس ، ١٩٧١ ، ص ٢٥٥ ٠

من ظلم واتهام باطل ، وقدموا أدلة على أن مدرسة طه حسين لم تكن تنظر الى التعليم على أنـه مجرد قضـية فنية تشـغل بال الاختصاصيين فحسب ، بل اعتبرته جزءا من قضية أشمل وأعمق هى قضية الاصلاح والتجديد الاجتماعى ٠

والواقع أن وضع القضية فى اطارها التاريخى يمكن أن يسهم فى تكوين رأى واضح فى هذه المسألة ٠

فقد بدأ طـه حسين حياته التعليمية فى معـاهد حرة تتيح التعليم للجميع كالأزهر الذى كان مفتوحا للتعليم من غير شروط معقدة ، ثم الجامعة الأهلية فى أول انشائها ٠ وبالرغم من ذلك فقد لقى فى حياته التعليمية كثيرا من العنت والتعقيد على نحو ما ورد فى مقال نشره بالهلال بعنوان « هذا مذهبى » (٨٨) ، حيث تحدث عن كثير من الصعاب التى قابلته فى حياته التعليمية ، على نحـو ما سرده بالتفصيل فى « الأيام » (الجزءين الثـانى والثالث) ، هذه واحدة ٠

والثانية أنه كان فى عنفوان مطالبته بتيسير التعليم كحق لكل مصرى في بداية اندماجه مع حزب الوفد ، صـاحب الأغلبية الشعبية ، والذى عانى من حرمانه من الحكم كثيرا برغم شعبيته ، فمن المنطقي أن يكون فكر طه حسين معبرا عن آمال الحزب الذى ان لم يكن تنظيميا منتميا اليه بصفة رسمية ، فهو على الأقل متعاطف معه ومن صحفييه الكبار ٠

والثالثة أن طه حسين عانى شخصيا من ديكتاتورية الأغلبية الجاهلة حين كان الوفد فى الحكم ابان أزمة الشعر الجاهلي ، وكان هو ينتمي ــ فى ذلك الوقت ــ الى حزب الأحرار الدسـتوريين ،

---

(٨٨) طه حسين ، « هذا مذهبى » ، مجلة الهلال (القاهرية) ، أبريل ١٩٥٥ ٠

فهوجم بالباطل ، وهوجم بالحق ، وصودر كتابه ، واضـطر الى تغييره ، واصداره معدلا تحت اسم « فى الأدب الجاهلى » .

هذه النقاط الثلاث مع غيرها من العوامل الشخصية والاجتماعية دفعت طه حسين دفعا الى الايمان بضرورة التغيير الاجتماعى ، واعتبار التعليم الأساس الأول فى عملية التغيير هذه .

وبالرغم من هذا الايمان بالتغيير عن طريق التعليم ، فان طه حسين لم يغفل الأسس العامة التى تقوم عليها العملية التعليمية ، فنادى بأن يكون اعداد المعلم موضع العناية والدراسة دائما ، وبأن تكون أوضاع المعلمين المهنية والاجتماعية متمشية مع دورهم الرائد فى عمليات التنوير والبناء والتنمية .

ويتلخص فكر طه حسين الخاص بديمقراطية التعليم فى جملة قصيرة جعلها عنوانا لأحد مقالاته هى أن « الجهل حريق يجب أن نطفئه بما يتيسر من الماء » (٨٩) ، وكان محتوى المقال كله دعوة الى التوسع فى التعليم حتى تتمكن الدولة من استيعاب جميع من هم فى سن الالزام ، ثم يلى ذلك وضـع الخطط المناسـبة لتحسين المستوى .

وفى مجال الحديث عن ديمقراطية التعليم عند طه حسين يثور تساؤل حول الخلاف بينه وبين القبانى حول هذا الموضوع ، وقد ناقشت دراسة حسان محمد حسان التى أشير اليها سابقا ، هذا الخلاف ، واضعة اياه فى اطاره التاريخى ، كما تعرضت لها أيضا دراسة سامح كريم .

وباختصار كان كل من طـه حسين والقبانى مؤمنـا بضرورة

---

(٨٩) طه حسين ، « الجهل حريق » ، **مقال بجريدة الجمهورية** (القاهرية) ١٣ أكتوبر ، ١٩٥٧ .

تحقيق الديمقراطية فى التعليم ، غير أن جوهر الخلاف كان حول أساليب تحقيق تلك الديمقراطية ، وبالطبع فان آراء طه حسين فى هذا الصدد ينبغى أن تؤخذ بحذر من حيث انه كان فى نظرته الى التربية والتعليم أديبا بالدرجة الأولى ، ثم مصلحا اجتماعيا بينما كان القبانى اختصاصيا فى شئون التربية والتعليم متمسكا بآرائه المبنية ـ من وجهة نظره ـ على نتـــائج دراسات وأبحاث علمية تربوية ٠

ولكل من الطرفين أنصار ، ولكل من الرأيين أسانيد ، وكل سند من الأسانيد يقبل التأييد ، ويقبل التفنيد ، فعلى سبيل المثال : شهد أحد رجال التعليم المخضرمين (٩٠) فى مقال له : بأن ما يقوله أصحاب دعوى « الكيف » صحيح فى جوهره ، ولكن المقاييس العلمية التى يمكن الحكم بهـــا على مواهب التلاميذ وقدراتهم واستعداداتهم لم تكن متوفرة فى تلك الفترة ، وليست متوفرة حتى الآن ، بل ان توزيع التلاميذ يتم على أساس مجموع الدرجات فقط ، وهو معيار عقيم ٠

٢ ـ الحريـــة :

ليس من المبالغة فى شىء الزعم بأن « الحرية » هى مفتاح شخصية طه حسين ، فقد كانت مواقفه طوال حياته ـ كما سلف الحديث ـ مناصرة لقضايا الحرية ٠ وهناك أكثر من مدخل لتناول هذه الحرية كملمح بارز من ملامح فكره التربوى ، فهناك الحرية السياسية والاســتقلال ، وقد سلف الحديث عن ذلك فى فكره السياسى ، وهناك حرية المعلم التى كثيرا ما نادى بضرورة كفالتها وتأمينها ، وهناك حرية واستقلال الجامعة كمعهد مقدس للبحث

(٩٠) محمد محمود رضوان ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ٠

العلمى ، وقد ضحى بمنصبه كعميد لكلية الآداب ، لكى يؤكد حرية الجامعة ، ويصـــون استقلالها ، فلا تكون ألعوبة فى يد الوزراء والسياسيين على حد تعبير بعض الكتاب (٩١) ، وهناك حرية الطالب التى لا تقيدها الا الضوابط العامة للحريات ٠

ولعل المدخل الذى يميل الباحث الى الولوج منه الى تنـاول فكرة الحرية عند طه حسين هو ما أتيح له فى بداية حياته من حرية حيث تعلم فى الأزهر ، ثم فى الجامعة الأهلية ، ثم فى جامعـات فرنسا ، حيث تتلمذ على كبار المستشرقين والمفكرين ، وتكون لديه منهج فى البحث طبقه بعد عودته على دراسة الشعر الجاهلى ٠ وهذا المنهج يعود أساسا الى طريقة الشيخ سيد المرصفى فى درس الأدب القديم فى شيء من الحرية فى نقد النصوص ، دعمها ما لقيه طه حسين من أساتذته الفرنسيين من تأكيد لمبدأ الحرية جعله يختار « ابن خلدون » موضوعا لرسالته ، « فابن خلدون نفسه صاحب منهج عقلانى يشـبه منهج ديكارت الذى تأثر به طـه حسين فى فرنسا ، وقد كان تأثير كل من ديكارت وابن خلدون فى طه حسين عظيما وملموسا » (٩٢) ٠

وكان من أثر هذا المنهج ان اتخذ طه حسين لنفسه موقفا وسطا بين الديمقراطية الغربية والشيوعية الشرقية ، فهو ينتقدهما معا ، لأن « الديمقراطية قد ضمنت للناس شيئا من الحرية ، وقليلا من المساواة أمام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من العدل الاجتماعى شيئا ٠ والشيوعية قد ضمنت للناس قليلا أو كثيرا من العـدل الاجتماعى ، فألغت ما بينهم من فروق ، ولكنها ضحت فى سبيل

---

(٩١) محمود عوض ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ ٠

(٩٢) كامل الزهيرى ، « طه حسين رجل ومنهج » ، مقال بمجلة الهلال (القاهرية) ٠ فبراير ١٩٦٦ ، ص ١١٢ ٠

ذلك بحريتهم ، فلم تدع لهم منها شيئا أو لم تكن تدع لهم منها شيئا ، والفاشية ضحت بالحرية والعدل جميعا » (٩٣) .

ويلوح من هذا النص اهتمام طه حسين بقضية الحرية التي تأكدت أكثر في كتاباته ذات الطابع التربوى من قصص أو مقالات .

وتتضح فلسفة طه حسين السياسية الاجتماعية التي سلفت الاشارة اليها في الفصل السابق أكثر حين ترتبط بفلسفته التعليمية ، فهو يرى أن الديمقراطية - بمعناها العام - ذات مضمونات ثلاثة تكفلها للناس هي : أولا الحرية ، وثانيا الحياة ، وثالثا السلم ، وهو يعني بحق الناس في الحرية أن يعيشوا أعزة لا أذلة ، ويعني بحق الحياة أن يعيش الناس أحرارا في اختيار العمل الذي يكسبون منه عيشهم ، ويعني بالسلم الأمن الداخلي والخارجي . ويرى بعض الباحثين أن هذا الفهم ينبع لدى طه حسين خلال تأملاته اللاحقة لدراسته في فرنسا (٩٤) ، وعلى أساس هذه الفلسفة تكون دعوة طه حسين الى التعليم متوافقة مع معتقداته السياسية .

فهو حين ينادى بأن تكفل الدولة للناس حق الحياة ، والحياة عنده هي الحياة « القابلة للتطور والرقى من ناحيتها المادية ، ومن ناحيتها المعنوية » حين ينادى بهذا ، ينادى معه بأن تكفل الدولة الديمقراطية للأفراد الحرية ، كما كفلت لهم الحياة ، « والحرية لا تستقيم مع الجهل ، ولا تعايش الغفلة والغباء ، فالدعامة الصحيحة للحرية الصحيحة انما هي التعليم الذي يشعر الفرد بواجبه وحقه ، وبواجبات نظرائه وحقوقهم ، فاذا ما كفلت الديمقراطية للأفراد

---

(٩٣) طه حسين ، **الوان** ، ط ٤ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠) ، ص ٢٤٢ .

(٩٤) على مسعد ، **مرجع سابق** ، ص ٧ .

حقهم فى الحياة الكريمة ، وحقهم فى الحرية ، فهى مكلفة بأن تضمن لهم « السلم التى تحميهم من أن يعدو بعضهم على بعض داخل حدودهم ، والتى تحميهم من أن يعدو عليهم الأجنبى ٠٠ وهذه السلم محتاجة الى المواطنين الأحرار ، وهم وحدهم القادرون على ايجاد هذه السلم ، ذلك أن الرجل الذى لا حظ له من الحرية ، عاجز بطبعه عن ايجاد السلم وعن حمايتها » (٩٥) ٠

فاذا تحدث طه حسين عن مفهومه للحرية على المستوى الضيق ـ مستوى المدرسة ـ فانه يتحدث بصراحة ووضوح عن وجوب كفالة الحرية للمعلمين والنظار ويربطها بسياسة المركزية التى تجعل الوزارة تحرص دائما « على أن تضع اصبعها فى كل شئ » ٠ ان نظام المركزية ـ كما يرى طه حسين ـ قد اشتد ضغطه على النظار والمعلمين حتى فقدوا أو كادوا يفقدون ذوق الحرية والابتكار (٩٦) ٠

وقد نادى طه حسين فى « مستقبل الثقافة » (ص ١١٤) بتكوين مجلس أعلى للتعليم ، يمثل فيه المهتمون والمعلمون حتى يتاح لسياسة التعليم شئ من الثبات والاستقرار ٠ وقد وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ بالفعل حين أصبح وزيرا للمعارف ، وتم تشكيل المجلس الأعلى للتعليم برياسة الوزير تشكيلا جديدا أدخلت فيه تعديلات عكست فكر طه حسين (٩٧) ٠

وقد لقى التعليم الجامعى على يدى طه حسين كثيرا من التطوير والتنظيم الذى كان يهدف لتحقيق مزيد من الحرية والاستقلال للجامعات ٠

---

(٩٥) طه حسين ، مستقبل الثقافة فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٨٠ ٠

(٩٦) المرجع السابق ، ص ١٤٢ ٠

(٩٧) وزارة المعارف العمومية ، تقرير عن تطور التعليم فى العام الدراسى ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٨ ٠

٣ ـ الاقتبـاس :

الاقتبـاس ملمح بارز من ملامح فكر طه حسين بوجه عام ، وفكره التربـوى بوجه خاص ، وهـو يعترف بذلك فى أكثر من موضع ، ويرى فى ذلك معيـارا للحـكم على نظم التربية والتعليم المحلية من حيث اتفاقها أو اختلافها مع مثيلاتها من النظم فى الدول المتقدمة .

واذا كانت التربية المقارنة تعنى « دراسـة نظريات التربية وتطبيقاتها فى البلاد المختلفة ، والموازنة بينها ، والوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينها ، ورد أوجه التشابه أو الاختلاف تلك الى جذورها الحقيقية والى أسباب وجودها ، أو القوى والعوامل الثقافية التى أثرت فيها » (٩٨) .. فان ما كان يفعله طه حسين يمكن أن يكون تطبيقا للمنهج المقارن فى دراسة أوضاع التربية والتعليم فى حدود امكانات العصر .

ولم يكن طـه حسين ينقل نظما كاملة للتعليم ، وانمـا كان يستأنس بتجارب الدول الأخرى فى نقطة ما ، يدير الحديث حولها ، ليصل من ذلك الى أننا يجب أن نستفيد من تجارب الدول الأخرى .

والعودة الى الوراء فى تتبع نشأة فكر طه حسين تلقى ضوءا على بداية وجود هذه السمة فى عطائه الفكرى ، ففى رسالته التى قدمها الى السوربون عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » والتى ترجمها محمد عبد الله عثمان ، يتعرض فى حديثه عن آراء ابن خلدون التربوية والتعليمية المختلفة ، كحديثه عن أهداف التربية واتجاهات طرق التدريس ، حـين يتعرض طـه حسين لهذا الجانب ، يتضـح

---

(٩٨) نازلى صالح وعبد الغنى عبود ، فى التربية المقارنة ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٤) ، ص ٩٠ .

المامه بأفكار أقطـاب التربيـــة الحديثـة مثل : هربرت سبنسر وبستالوتزى (٩٩) ، وهو حين يذكر تشـــابه آراء المفكر العربى « ابن خلدون » مع آراء هؤلاء المربين من الفلاسفة المحدثين الغربيين ، فانه يشير بذلك الى الزيادة التى وصل اليها العقل العربى فى عصر ابن خلدون من ناحية ، ومن ناحية ثانية يؤكد هذا اهتمامه الشخصى بقضايا التربية والتعليم .

وبعد عودته من فرنسا وقيـامه بالتدريس فى الجامعة يقوم بتوجيه كتاب فى غاية الأهمية فى ذلك الوقت وهو « روح التربية » الذى ألفه جوستاف لوبون لنقد نظام التعليم فى فرنسا .

وحين ترجم طه حسين كتاب « روح التربية » ولم يكن مضى على تأليفه عشرون سنة ــ أكد مرة ثانية اهتماماته التربوية كما يلوح فى مقدمته للكتاب التى يرجو فيها أن يخرج القارىء من الكتاب بنتيجتين هما (١٠٠) :

(أ) الشعور بهذه العيوب الكثيرة الخطرة التى تفسد التعليم فى مصر خاصة وفى الشرق عامة .

(ب) العلم بالقواعد الأساسية التى يتخذها المصلحون المحدثون لتغيير النظم التعليمية على اختلافها وعلى اختلاف موضوعاتهـا وأطوارها .

وهو يعترف فى المقدمة بأن الكتاب يبحث عن التعليم الفرنسى « ولكنه يدرس التعليم من حيث هو تعليم ، ومن حيث هو وسيلة الى تكوين نفس الفرد ، والى تكوين المثل العليا للأمم والشعوب ،

---

(٩٩) طه حسين ، « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، (بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣) ، ص ١٦١ .

(١٠٠) جوستاف لوبون ، مرجع سابق ، المقدمة .

وقد تتغير النظم التعليمية بتغير البيئة وأطوار الجماعات ، ولكن هذا التغير لا يمس هذه النظم الا فى دقائقها ومفصلاتها » .

وظلت سمة الاقتباس تلوح فى معظم كتابات طه حسين فى مجال التربية والتعليم فيما بعد ، فهو حين يتحدث عن التوسع فى التعليم واصفا الجهل بأنه حريق يجب اطفاؤه بما يتيسر من الماء ، ولا يجب الانتظار لحين الحصول على الماء المقطر ، يواجه باحتجاجات المتخصصين فى التربية فيقول : « وقد عمدت الصين الشعبية الى نشر التعليم فى أرجائها المتباعدة وسكانها الذين لا يحصون بعشرات الملايين ، وانما يحصون بمئاتها ، ونجحت فى ذلك نجاحا رائعا » (١٠١) ، وكما يشير الى تجربة الصين ذات الكثافة السكانية الكبيرة ، فانه فى موضع آخر من المقال نفسه يطالب بأن تنشأ فصول لمحو الأمية فى المساجد ، ويستشهد بأمم أخرى كانت تعلم الجهال « فى الهواء الطلق فى ظل الأشجار والنخيل » .

وفى حديثه المفصل عن أساليب اعداد المعلمين فى مستقبل الثقافة يشير كثيرا الى النظم الفرنسية المتبعة فى هذا الاعداد (١٠٢) .

والواقع أن تتبع الكتابات التربوية لطه حسين يكشف عن اهتمام كبير بنظم التعليم وأنماط التربية المتبعة فى الدول الأخرى وبخاصة الدول الأوربية المتقدمة ، وهذا يجعل سمة « الاقتباس » من السمات العامة التى تميز فكره التربوى .

ويكشف الفصل الخامس « آراء طه حسين فى بعض قضايا التربية والتعليم » عن مدى اتساق هذه السمات الثلاث فى معظم جوانب فكر طه حسين فى المجال التربوى .

---

(١٠١) طه حسين ، الجهل حريق ، مرجع سابق .

(١٠٢) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٣٥٨ وما بعدها .

وتجدر الاشارة الى سمة أخرى يتميز بها فكر طه حسين التربوى وهى الواقعية ، وهذه السمة تتجلى عندما يفكر طه حسين فى مشكلة تربوية أو تعليمية تفكيرا مبنيا على الاقتباس أو الاستدلال بتجارب دول أخرى ، فهو حين يفعل هذا لا يغفل الواقع المصرى وما فيه من ظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية تتفق أو تختلف — الى حد ما — مع الظروف السائدة فى الدولة المقتبس منها ، أو المسترشد بتجاربها ٠

غير أن الكاتب لم يستطع القطع بأن هذه السمة « الواقعية » سمة عامة ، نظرا لأنها غير واضحة الحدود ، بحيث يمكن تحديدها على النحو المتوفر للسمات الثلاث السابقة مما دعا الكاتب الى الاكتفاء بالاشارة اليها ، وسوف تكشف عنها الفصول القادمة الخاصة بالجوانب التطبيقية من فكر طه حسين التربوى بشىء أكثر تفصيلا ، ولكنه مع ذلك قليل ، وان كان برغم قلته ذا دلالة غير خافية ٠

الفصل الرابع

(آراؤه فى بعض قضايا التربية والتعليم)

أولا : بعض قضايا التربية

١ ـ أهداف التربية عند طه حسين

٢ ـ الثقافة والشخصية القومية

٣ ـ علاقة الدولة بالتعليم

٤ ـ التعليم الدينى

٥ ـ المؤسسات التربوية

ثانيا : تصورات طه حسين فى بعض قضايا التعليم

(أ) كثافة الفصول

(ب) الكتب المدرسية

(ج) تعليم اللغات الأجنبية

(د) الامتحانات

يسعى هذا الفصل جاهدا للتعرف على فكر طه حسين التربوى والتعليمى فى محاولة لتكوين صورة متكاملة عن الفلك الذى يدور فيه هذا الفكر ، وبشكل أكثر تحديدا لمعـــرفة التصورات والآراء التى قدمها طه حسين فى بعض قضايا التربية والتعليم ، بغض النظر عما اذا كان قد أتيح له تحقيقها ، فذلك هو موضوع الفصول القـــادمة ٠

وتنبع قيمة أفكار طه حسين التربوية من أنه كان أحـــد ثلاثة رجال كانت لهم اجتهادات متميزة فى تاريخ التعليم فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين الأول : اسماعيل القبانى ، والثانى : أحمد نجيب الهلالى ٠ وقد كان من الطبيعى أن تختلف تصوراتهم لمشكلات التعليم وأســاليب حلولهــا ، ولكنهم مع ذلك اجتهدوا جميعا من أجـــل النهوض بالتعليم ، وتلك هى الأرض المشتركة التى يلتقون فيها معا ٠ أما الخلاف حول بعض التفاصيل فغالبا ما يرجع الى اختلاف المنطلقات وتباين الثقافات ٠

وتبدو أهمية أفكار طه حسين التربوية اذا ما وضعت فى اطارها التاريخى ، والخطوط العريضة لبرنامج اصلاح التعليم التى تضمنها « مستقبل الثقافة فى مصر » تتضمن آراء مهمة نادى بها طه حسين فى ظروف « كانت هذه الآراء تبدو فيها مسرفة فى التفاؤل ٠٠ فلم تكن مألوفة ، ولم تكن مقبولة لدى الكثيرين ، ومن أجل هذا هوجمت بالحق وبالباطل » (١٠٣) ٠

---

(١٠٣) محمد محمود رضوان ، مرجع سابق ، ص ٤٩ ٠

ومن الجدير بالاشارة اليه ، أن معظم أفكار طه حسين ـ ليس فقط فى مجال التربية والتعليم ، ولكن فى مختلف المجالات التى طرقها من تاريخ وقصص ودراسات أدبية ـ معظم هذه الأفكار تخدم القضية الأساسية التى تبناها وهى قضية العدل الاجتماعى . ولذلك فان تفكيره فى توسيع قاعدة التعليم جعله يرجىء التفكير فيما يستلزمه ذلك من متطلبات أخرى كالمبانى المجهزة وغيرها ، وكان يسمى ذلك « تأنقا » يجب تأجيله الى مرحلة قادمة بعد استيفاء استيعاب من هم فى سن الالزام من كل طبقات المجتمع .

أولا : بعض قضايا التربية :

١ ـ أهداف التربية عند طه حسين :

هناك ما يشبه الاجماع بين علماء التربية على أن أهداف التربية تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، بل قد تختلف في الزمان الواحد والمكان الواحد من مفكر الى آخر ، ويرجع الاختلاف في هذه الحالة الى اختلاف الأيديولوجيات التى يصدر عنها كل من هؤلاء المفكرين .

كما أن العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة تسهم بشكل مباشرة في تحديد أهداف التربية بوجه عام ، وفى تحديد أولويات هذه الأهداف على وجه الخصوص .

وتتحدد أهداف التربية عند طه حسين فى ضوء الأهداف العامة التي تسعى مصر الى تحقيقها ، وهذه الأهداف العامة يحددها طه حسين فى « مستقبل الثقافة فى مصر » من واقع الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى كانت تسود فى مصر والتى سلف بيانها في الفصل الأول من الباب الأول .

وبوجه عام تتلخص تلك الظروف فى الاحتلال المسيطر على حريات البلاد والمسيطر على اقتصادياتها ، وفى الملك الذى يحكم من خلال حكومات قصيرة العمر معظمها من الأعيان والاقطاعيين . مما أفرز نظاما اجتماعيا يقوم على نظام الطبقات ، الذى يستعلى فيه بعض النـــاس على بعض ، ويمتاز فيه بعض النـــاس من بعض « مما يدفع أصحاب الثراء العريض والجاه الضـــخم الى الاستعلاء فى الأرض ، والاشفاق من أن يختلط أبناؤهم بأبناء الفقراء (١٠٤) ، فهم يسعون الى المدارس الأجنبية يلحقون بها أبناءهم » ٠

وقد اشتد هجوم طه حسين على النظام الاجتماعي والسياسي فى مصر وبخاصة خلال فترة حكم اسماعيل صـدقى (١٩٣٠ — ١٩٣٤) حيث ساءت الأوضاع ووصلت الى درجة لم تصل اليها من قبل ، وزاد هذا الهجوم اشتدادا ما تعرض له هو شخصيا من ظلم فى تلك الفترة نتيجة تمسكه باستقلال الجامعة ٠

ولم تكد الغمة تنجلى بتولى توفيق نسيم رئاســة الوزارة فى ديسمبر ١٩٣٤ حتى عاد طه حسين الى الجامعة وانتخب سنة ١٩٣٦ عميدا لكلية الآداب ، وعادت اليه مكانته المرموقة ٠ وفى العام نفسه توقع مصر معاهدة التحالف مع انجلترا ، وتنص المعاهدة على استقلال مصر ، ثم تنجح الوزارة الوفدية التي وقعت المعاهدة فى الغاء الامتيازات الأجنبية ، وتتقدم مصر المستقلة لعضوية عصبة الأمم لتبدأ عهدا قوامه الحرية والاستقلال ٠

وتناول طه حسين للحياة الوطنيـــة الجديدة يســتند الى المدركات الفلسفية الاجتماعية التاريخية التى كونهـــا طه حسين فى دراسته للتاريخ السياسى والاجتماعى لبـــلاد اليونان ، وفى

---

(١٠٤) طه حسين ، « حوار » ، مقال بجريدة الجمهورية ، (القاهرية) ، اكتوبر ١٩٥٤ ٠

اهتمامه بنظام الأثينيين فى مصر ، وفى دراسته لفلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

ان اضفاء البعد الاجتماعى فى تفسير وقائع التاريخ الذى طبقه طه حسين في دراسته لعصر صدر الاسلام فى الفتنة الكبرى ، وفي دراسته لأبى العلاء المعرى ، يعطى ضوءا يتيح شيئا من وضوح الرؤية بالنسبة للأهداف التى رأى طه حسين أن مصر تسعى اليها بعد حصولها على الاستقلال ١٩٣٦ بتوقيع المعاهدة ، فهو حين يحدد هذه الأهداف ينظر الى الواقع الاجتماعى نفس نظرته الى الواقع السياسى الاقتصادى .

وبصفة عامة يمكن اجمال الأهداف العامة لمصر من وجهة نظره فى (١٠٥) :

(أ) الحرية الخارجية وقوامها الاستقلال الصحيح ، والقوة التى تحوط هذا الاستقلال .

(ب) الحرية الداخلية وقوامها النظام الديمقراطى .

(جـ) الاستقلال الاقتصادى لحماية الثروات الوطنية .

(د) الاستقلال العلمى والفنى والأدبى الذى يجعلنا نقف على قدم المساواة مع الأوربى نفهم الحياة كما يفهمها ، ونرى الأشياء كما يراها .

واذا كانت هذه هى الأهداف العامة للمجتمع ، فان أهداف التربية يجب أن تكون خاضعة فى تحديدها للاطار العام الذى تحدده هذه الأهداف ، وعلى هذا الأساس فان طه حسين قبل أن

---

(١٠٥) طه حسين ، **مستقبل الثقافة** ، ص ٤٣ وما بعدها .

يتحدث عن هذا النوع أو ذاك من أنواع التعليم يحدد – فى البداية – أفراد هذا النوع ، والام يهـدف ؟ وكيف يتـاح له أن يحقق أغراضـه ؟

فالتعليم الأولى وهو بداية السلم التعليمى وسيلة العيش ، لأنه يمكن الفرد من أن يعرف نفسـه وبيئته الطبيعية والوطنية والانسانية ، وأن يتزيد من هذه المعرفة ، وأن يلائم بين حاجته وطاقته وما يحيط به من البيئات والظروف (١٠٦) .

هذا التعليم يجب على الدولة الديمقراطية أن تنقلة لأغراض عملية :

(أ) أن هذا التعليم الأولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الفرد ليستطيع أن يعيش .

(ب) أن هذا التعليم أيسر وسيلة يجب أن تـكون فى يد الدولة نفسها لتكوين الوحدة الوطنيـة واشـعار الأمة بحقهـا فى الوجود المستقل الحر .

(جـ) أن هذا التعليم هو الوسيلة الوحيدة فى يد الدولة لتمكن الأمة من البقاء والاستمرار ، لأنها بهذا التعليم تضمن وحدة التراث الوطنى الذى ينبغى نقله من جيل الى جيل .

ويعترف طه حسين فى حديثه عن التعليم العام بأن الدولة كانت تقصد به الى اعداد الموظفين للدواوين والمكاتب ، ويذهب الى أن هذا الأمر « ليس الا نتيجة من نتائج السيطرة الانجليزية على شئون مصر عامة ، وعلى شئون التعليم بنوع خاص » (١٠٧) ؟ ثم يناقش بداية نشر التعليم على عهـد محمد على ليصـل الى أن

---

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(١٠٧) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

الحاجات العملية اليومية ، والضرورات العادية (مثل وجود :محاكم وحاجة الجيش) كانت وراء انشاء التعليم الحديث المنظم فى مصر .

وفى حديثه عن التعليم العالى يحدد هدفين رئيسيين هما (١٠٨) :

(أ) المعرفة الخالصة بمعنى تهذيب العقل ، وازالة الجهل أو طلب العلم لذات العلم .

(ب) شغل المناصب الممتازة .

وهو يرى أن رجل الشارع يستطيع أن يحدد هذين الهدفين للتعليم العالى دون عناء ، ويستطيع الكاتب بعد هذا التحديد للأهداف التى تسعى اليها التربية والتعليم فى رأى طه حسين ، يستطيع الزعم بأن مجمل هذه الأهداف لا يخرج عما نادى به رجال التربية المتخصصون على اختلاف مشاربهم ، وتباين ثقافاتهم وانتماءاتهم ، مما يدفع الى القول بأن طه حسين كان على بينة من كتابات رجال التربية .

٢ ـ الثقافة والشخصية القومية :

ليس هناك تعريف محدد متفق عليه بين علماء الاجتماع للثقافة ، بل هناك خلافات حول هذا التعريف أو ذاك لهذا العالم أو ذاك ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بجدوى دراسة الشخصية القومية التى زادت أهمية دراستها بشكل ملحوظ خلال الأربعينيات من هذا القرن .

والحديث السابق عن أهداف التربية وتحديدها فى ضوء الأهداف العامة للمجتمع يفضى بالضرورة الى أهمية القاء نظرة على

---

(١٠٨) المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

ثقافة هذا المجتمع وشخصيته القومية ، بما تشمله تلك الثقافة من أنماط ، وما يحيط بتلك الشخصية من محددات ٠

ولعل ما ذهب اليه طه حسين فى حديثه عن الثقافة يتمشى مع تعريف العلامة « بيلز » والعلامة « هويجر » بأن الثقافة هى « تجريد مأخوذ عن السلوك الانسانى الملاحظ حسيا ، ولكنها ليست ذلك السلوك » (١٠٩) ، فطه حسين فى حديثه عن الثقافة كان تجريديا ، وكان مستقرئا لما يسود مجتمعنا من سلوكيات ٠

ويرى عثمان نويه أن طه حسين فى « مستقبل الثقافة فى مصر » قصد بالثقافة « عملية البناء والتنمية عن طريق التعليم والتربية وتنقية الطبيعة الأخلاقية والعقلية » بالدرجة الأولى كما قصد الى حد ما : ترقية الذوق وتنقيته عن طريق التدريب العقلى والجمالى والبراعة فى الفنون والانسانيات والجوانب العامة من العلم ٠ وكل هذه المدلولات المختلفة للثقافة واردة فى موسوعة « وبستر » (١١٠) ٠

وفى رأى « عثمان نويه » أن بناء الثقافة الذى تصوره طه حسين يقوم على أسس ثلاثة هى : المتوسطية حيث يرى طه حسين أن مصر الجديدة تمتد بجذورها التاريخية لتتصل بحضارة البحر المتوسط ، فعليها أن تقتبس من الأوربيين الحضارة التى سبق أن اقتبسوها منها ، العربية الاسلامية : حيث يرى ان مصر يجب أن تفتح مدارسها لأبناء الشرق العربى فى اطار قيامها برسالتها التاريخية فى دعم الثقافة العربية والاسلامية ، الطوبوية أو النظرة

---

(١٠٩) عاطف وصفى ، « الثقافة والشخصية » ، الطبعة الثانية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧) ، ص ٨١ ٠

(١١٠) عثمان نويه ، « حوار حول الثقافة ومستقبل الثقافة » ، مجلة الثقافة (القاهرية) ، ديسمبر ١٩٧٣ ، ص ٤٣ ٠

المستقبلية ، حيث قدم تصورا متفائلا لبرنامج اصلاحى متكامل فى شئون التربية والتعليم (١١١) ٠

وعلى المستوى المادى للثقافة يرى طه حسين أن كثيرا من أساليب الحياة المادية فى مصر متأثرة بأوربا مثل الأساليب المتعلقة بالتعامل مع المعطيات الحضارية الحديثة كالبرق والهاتف وغيرها من ملابس ومساكن ... الخ ٠

ويذهب طه حسين الى أن الثقافة المصرية الخالصة موجودة ولكنها محتاجة الى التقوية والتنمية ، ويحلل هذه الثقافة الى عناصرها الأولى فى رأيه ، وتتمثل فى :

(أ) التراث المصرى القديـــم ٠

(ب) التراث العربى الاسلامى ٠

(جـ) ما تم اكتسابه من الحضارة الأوربية الحديثة (١١٢) ٠

ويرى طه حسين أن الثقافة المصرية تمثل الشخصية القومية لمصر ، تلك « الشخصية القديمة الهادئة » وهى شخصية « باقية خالدة يعنى فيها الأجانب شخصية انســـانية قادرة على أن تغزو قلوب الناس وعقولهم ، وتخرجهم من الظلمة الى النور » (١١٣) ٠

تبقى نقطة جديرة بالالتفات اليها ، وهى أن طه حسين فى تناوله للثقافة والشخصية القومية لم يكن متقوقعا ، بل على العكس كان يمثل بين مفكرى عصره اتجاها رائدا يدعو الى التفتح للثقافات الانسانية بصفة عامة ٠

---

(١١١) المرجع السابق ، ص ٤٥ ٠

(١١٢) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ ٠

(١١٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ٠

« كان طه حسين يشعر بأن كل كسب مستمد من الثقافات العالمية يمكن أن يعود علينا بنفع جزيل لو عرفنا كيف نهضمه ونستوعبه ، ولم يكن يؤمن بأن للحواجز القومية أهمية أساسية اذا كان الأمر متعلقا بتراث انسانى رفيع » (١١٤) ، وتتضح صورة الشخصية المصرية أكثر بسماتها العامة خلال أعماله الروائية والقصصية التى تناولها كثير من الباحثين بالدراسة المتخصصة ، ومن أهم تلك الأعمال فى هذا الصدد : شجرة البؤس ، والمعذبون فى الأرض ، ودعاء الكروان •

٣ ـ علاقة الدول بالتعليم :

يعد التجديد الواضح لعلاقة الدولة بالتعليم والأبعاد المختلفة لتلك العلاقة مبحثا تاما من مباحث التربية المقارنة ، ذلك أن النظم السياسية والاقتصادية السائدة فى دولة ما تسهم بشكل مباشر فى تحديد علاقة تلك الدولة بالتعليم وبوجه عام يمكن القول بأن تصور طه حسين لمصر على أنها تنتمى ـ ثقافيا ـ الى دول البحر الأبيض المتوسط ، تلك الدول المتقدمة حضاريا وثقافيا وتعليميا ، هذا التصور ساعده فى تحديد العلاقة بين الدولة والتعليم فى ضوء تلك الأهداف العامة للمجتمع المصرى كما حددها من واقع معايشة نظام الحكم والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة فى تلك الحقبة من تاريخ مصر •

ولا ينبغى اغفال ثقافة طه حسين الأوربية فى هذا الصدد ، بل ان الكاتب يكاد يذهب الى القول بأن طه حسين أفاد معظم أفكاره فيما يتعلق بتنظيم التعليم وادارته من قراءاته التربوية الغربية ، واذا كان الباحث لا يستطيع القطع بهذا ، فانه يرجحه ترجيحا

---

(١١٤) فؤاد زكريا ، قيم النهضة الفكرية عند طه حسين » ، مجلة الآداب (البيروتية) ، مارس ١٩٧٤ ، ص ١٢ وما بعدها •

شديدا ، كما سلفت الاشـــارة عند الحديث عن مصـــادر ثقافة طه حســـين .

وفى ضوء هذا الاعتبار ينبغى أن تؤخذ أفكار طه حسين فيما يختص بعلاقة الدولة بالتعليم بصفة خاصة ، مع الأخذ فى الاعتبار أن طه حسين لم يغفل جهود الأفراد والهيئات فى سبيل التعليم ، بل أكدها فى كتاباته ، وأعطاها شكلا رسميا حين أتيحت له السـلطة .

يربط طه حسين بين واجب الدولة نحو حماية الاســـتقلال وواجبها نحو تعلم الشعب ، لأن الوسيلة الأساسية والمهمة لحماية الاستقلال الخارجى هى تنشىء الطفل المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياته والذياد عنه « وهذه التنشئة تساعد أيضـــا فى تحقيق العـــدل والأمن والمســـاواة والحرية بين المواطنين » (١١٥) .

وقد كان دستور ١٩٢٣ يؤكد حق المواطنين فى التعليم ، وبعد استقلال مصر ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الأجنبية ، يصبح واجب الدولة فى توفير هذا الحق أكثر أهمية ، وأولى من غيره بالاهتمام .

ويعتقد بعض الدارسين (١١٦) أن طه حسين كان يؤيد سيطرة الحكومة على التعليم ، ليس فقط كوسيلة ، ولكن أيضا كمبدأ ، ذلك أن طه حسين كان يرى أن التعليم « سلاح ذو حدين ، لأنه يجعل الانسان عالما بحقوقه وواجباته معا ، بينما يميل الانسان بطبيعته الى الأخذ أكثر من العطاء ، فالتعليم غير المسيطر عليه سوف يجعل كل فرد يطالب بحقوقه ، ويتقاعس فى واجباته ، وهذا يهدد

---

(١١٥) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(١١٦) Pierre Cachia, *Taha Husayn*, (London & Lozac Company L.T.D., 1959), p. 127.

النظام الاجتماعى ، فاشراف الدولة على التعليم ضرورى للمحافظة على التوازن بين ادراك الحقوق وادراك الواجبات » .

ولم يقف طه حسين باشراف الدولة على التعليم عند حدود التعليم الرسمى ، بل رأى وجوب أن تشرف الدولة على التعليم الدينى الممثل فى التعليم الأولى الأزهرى والثانوى الأزهرى « لتتثبت الدولة من أن المصريين جميعا ينشأون على معرفة وطنهم وحبه ، والاستعداد للتضحية فى سبيله ، واتقان لغته وتاريخه » (١١٧) ، وليس معنى هذا أن الأزهر لم يكن خاضعا لاشراف الدولة ، بل انه كان خاضعا وله قوانينه المنظمة ، ولوائحه الثابتة ، ولكن طه حسين كان يعنى بذلك أن لا تترك للتعليم الأولى والثانوى الأزهرى الحرية المطلقة حتى لا يتجافى بمناهجه عن مناهج التعليم العام الأخرى .

والنقطة المهمة التى يركز عليها طه حسين فى حديثه عن علاقة الدولة بالتعليم هى المدارس الأجنبية ، اذ يرى وجوب مراقبة الدولة لهذه المدارس ، ويلح فى ذلك الحاحا شديدا ، لسببين : أولهما أن المدارس الأجنبية قد تتراخى فى تعليم التاريخ الوطنى لمصر ، وثانيهما : أن التراخى لن يقف عند حدود التاريخ بل سيمتد الى الدين القومى ، والى اللغة القومية ، مما قد يضعف الشخصية الوطنية لدى الأطفال .

« ان التقصير فى مراقبة تلك المدارس تقصير فى ذات الوطن ، وتفريط فى حماية الاستقلال ، والواجب الوطنى يفرض على الحكومة والبرلمان فرضا أن تراقب هذه المدارس » (١١٨) .

ولم تكن مناداة طه حسين باشراف الدولة على التعليم مجافية لدعوته الى اللامركزية فى ادارة وتنظيم التعليم ، ولا منافية لها ،

---

(١١٧) مستقبل الثقافة ، ص ٧٢ .

(١١٨) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

• بل انه كان ـ كما يبدو من معظم فصول مستقبل الثقافة ، وكما يبدو فيما بعد من مواقفه التطبيقية ـ يطالب فقط باشراف سلطوى فى حدود التخطيط والتمويل وتبنى السياسات التعليمية ، أما حرية الادارة داخل المؤسسة التربوية وداخل وحدات الادارة التعليمية فهو يؤكدها ويحرص عليها •

٤ ـ التعليم الدينى :

تقوم المدارس المختلفة على أسس دستورية تكفلها نظم الحكم فى الدول المختلفة ، ومعظم الدساتير تتضمن نصوصا صريحة فيما يتعلق بحق التعليم وضرورة كفالته لكل فرد •

ويرتبط بهذا وجود تعليم ذى طابع دينى فى كل نظام تعليمى ، ويقوم التعليم الدينى على أساس ديمقراطى سليم « قوامه الاعتراف بحق كل طائفة أو مجموعة دينية فى انشاء المدارس الدينية الخاصة بها » (١١٩) •

وتنبع أهمية دراسة أوضاع التعليم الدينى من حيث كونه جزءا من نظام تعليمى عام لا يقوم على التفرقة بين أبناء الوطن الواحد بسبب الجنس أو الدين ولذلك « فعلى التعليم العام أن يقرر منذ البداية ما اذا كان عليه أن يدخل التعليم الدينى فى برامجه أم لا ؟ » (١٢٠) •

ولما كان طه حسين مهتما بأن يكون هناك قدر مشترك من التوحيد بين البرامج التى تقدم فى كل نوع من أنواع التعليم بحيث يؤدى هذا القدر المشترك الى « تكوين الشخصية الوطنية فى نفس

---

(١١٩) محمد منير مرسى ، **التعليم العام فى البلاد العربية** ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٢) ، ص ١٩ •

(١٢٠) المرجع السابق ، ص ١٩ •

التلميذ ويركب فى طبعه الاستعداد لتثبيت الديمقراطية ، وحماية الاستقلال » (١٢١) ٠

هذا الاهتمام جعل طه حسين يتناول التعليم الدينى فى محاولة لبحث أوضاعه دون المســـاس بجوهره ، بل يتناوله من الوجهة التربوية فقط ، فعلى سبيل المثال من الممكن ألا تهتم المدارس الأجنبية بالدين القومى ، بل أكثر من هذا قد تذهب فى تعليمها مذهبا مختلفا عما هو راسخ فى أذهان التلاميذ من معتقدات ، الأمر الذى يهدد وحدة الأمة ويعرضها للخطر ٠

فى هذا الصدد يقدم طه حسين وجهة نظر واضحة ، اذ يقرر أن من حق الدولة أن تتثبت بالملاحظة والتفتيش أن المدارس الأجنبية لا تنحرف بالتلاميذ عن دين آبائهم ، ولا تتخذهم موضوعا للدعوة والتبشير من ناحية (١١٢) ، ومن ناحية أخرى اذا كان الدين مادة مقررة فى مناهج التعليم العام فى مصر وجزءا أساسيا من هذه المناهج ، فيجب أن يشترك المصريون جميعا فى هذا الجزء الأساسى من أجزاء التعليم ، بمعنى تكليف المدارس الأجنبية تعليم الدين القومى ، فلا ينبغى أن يكون هناك مصريون يخرجون من المدارس المصرية وقد تعلموا الدين القومى واللغة القومية والتاريخ القومى . وآخرون يخرجون من المدارس الأجنبية وليس لهم من التعليم الدينى حظ ما (١٢٣) ٠

أما فيما يتعلق بالتعليم الدينى فى غير المدارس الأجنبية ، فان طه حسين يتخذ موقفا يكاد يكون واحدا ، فهو يدعو الى تطوير التعليم

---

(١٢١) مستقبل الثقافة ، ص ٧١ ٠

(١٢٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ ٠

(١٢٣) المرجع السابق ، ص ٦٩ ٠

الديني فى الأزهر ، بحيث يتحد مع التعليم المدني أو يتقارب معه ، مما « سيجعل الشهادة الثانوية الأزهرية معادلة للشهادة الثانوية المدنية ، ويومئذ تفتح أبواب الجامعة والمعاهد العالية للأزهريين ، كما تفتح أبواب الأزهر للجامعيين ، ويومئذ تمتزج الثقافة الدينية بالثقافة المدنية امتزاجا حسنا مفيدا » (١٢٤) ٠

واذا كان طه حسين قد قدم هذا الرأي سنة ١٩٣٨ فان قانون تطوير الأزهر الذى صدر سنة ١٩٦١ قد حقق شيئا من هذا ، وبدأ التقارب بالفعل بين التعليمين : الدينى والمدنى ، بل ان المناهج قد وحدت فى معظم المواد المشتركة ٠

وفيما يتعلق بالتعليم الديني للأقباط ، كان طه حسين يرى أن مسئولية الدولة واحدة بالنسبة لهذا النوع من التعليم ، ويستند في هذا الرأي الى الدستور الذى ينص على أن المصريين جميعا سواء في الحقوق والواجبات والتعليم حق للمصريين جميعا ، فلابد اذا من أن يشترك المصريون جميعا فيما يمكن أن يشـــتركوا فيه من مقومات الوحدة الوطنية (١٢٥) ، ويحرص طه حسين على تأكيد الملاءمة بين التعليم الدينى الذي يقوم به القسيسون ، والتعليم المدني الذي يقوم به المعلمون ، فلابد اذا من أن يثقف هؤلاء القسيسون تثقيفا ملائما للحياة الحديثة وللعصر الحديث ، وحتى لا يحملوا الى الناس باسم الدين ثقافة تضطرهم الى الحيرة والاضطراب والعجز عن احتمال أعباء الحياة المدنية (١٢٦) ٠

ومن وجهة نظر طه حسين يقوم كل من الأزهر والكنيســة القبطية المصرية بدور رائد على مستوى عالمى ، فيجب أن تصدر

---

(١٢٤) **المرجع السابق** ، ص ٣٥٦ ٠

(١٢٥) **المرجع السابق** ، ص ٣٥٨ ٠

(١٢٦) **المرجع السابق** ، ص ٣٥٩ ٠

عن كل منهما ثقافة تلائم الحاجات الحديثة للأوطان الأخرى التي تقتدى بهما (١٢٧) ·

٥ ـ المؤسسات التربويـة :

هناك مؤسسات وكيانات متعددة تمارس أدوارا تربوية خارج أسوار المدرسة ، وتقوم بدور بارز فى بناء شخصية الفرد وتوجيهه وتحـديد ميوله ونزعاته ، يعدد رجال التربيـة منهـا : الأسرة ، والصحافة ، والاذاعة والتليفزيون ، ودور العبادة ، وجماعات الرفاق، وغيرها ، وقد أولى طه حسين هذه المؤسسات المختلفة اهتماما كبيرا من حيث تأثيرها فى الأفراد وخطرها عليهم ·

وهذه المؤسسات والكيانات المختلفة وسائط فى نقل التراث الثقافى واشاعته بين الناس ، وهي من هذا الجانب تلتقي مع المدرسة على مســاحة مشتركة من الاهتمام والدور المنوط بكل منهما ، الخلاف فقط فى أن هذه المؤسسات تقوم بنقل التراث ليس كوظيفة أساسية كما هو الحال بالنسبة للمدرسة ، ولكن بشكل عفوى وغير مباشر ، ومن هنا تأتى أهمية دراسة دورها التربوى ·

ولعل هذا الجانب يتضح أكثر فى قصص طه حسين ، ففي قصة « شجرة البؤس » يصور ما تعانيه الأسرة الريفية من الجهد والمشقة فى سبيل تعليم أبنائها ويأتي علي لسان بعض أبطال القصة حديث عن ضرورة توجيه أبناء الأسرة الى المصانع بحجة أن المدارس لم تنشأ لأبناء الفلاحين وأوساط الناس ، وانما أنشئت لأبناء الذوات من الترك والأغنياء من المصريين (١٢٨) ، وهنا يلوح

---

(١٢٧) المرجع السابق ، ص ٣٦٠ ·

(١٢٨) طه حسين ، **شجرة البؤس** ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٨) · ص ١٧١ ·

نقد طه حسين للسلبية ، ويتخذ مظهرا راشدا يتمثل فى اصرار كثير من أبطال قصصه على ضرورة نيل حقهم فى التعليم مهما يكلفهم ذلك من مشقة ٠

والوضع الطبقى للأسرة يحدد نوع التعليم لأبنائها ، حيث يكون للمستوى الاقتصادى والاجتماعى دور فى اختيار نوع التعليم الذى يتحدد وفقا لطموح الأسرة فالأغنياء « يتمنون أن تنشأ لهم مدارس خاصة لا يختلف اليها الا المترفون وأشباه المترفين من الصبية والشباب ، وهم — لذلك — يطوفون بأبنائهم على المدارس الأجنبية » (١٢٩) ٠

وفى الجزء الأول من الأيام يذكر طه حسين أنه نشأ فى أسرة كبيرة العدد ، وكان أبوه مع ذلك يستدين أحيانا من أجل تعليم أولاده ، كما سلفت الاشارة عند الحديث عن حياته ، مما يشير الى أنه يعلق أهمية كبرى على دور الأسرة فى تعليم أبنائها وتوجيههم ٠

ويؤكد طه حسين الدور التربوى المهم للصحافة والاذاعة والسينما ، فهى فى رأيه « أدوات تثقيف الشعب وتهذيبه ، وتصفية ذوقه ، وتنقية طبعه ، وتحقيق الصلة بينه وبين غيره من الشعوب ٠٠ فهى قد تكون أشمل نفعا ، وأبعد أثرا من التعليم الشعبى » (١٣٠) ، وطه حسين ينظر الى هذه المؤسسات من الزاوية التى تشغل اهتمامه دائما وهى : الجهل أو الأمية ، فمعظم المصريين أميون وهنا يكمن خطر الاذاعة والسينما والصحافة بوصفها أدوات ميسورة يمكن أن تبلغ الأمى وغير الأمى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أشار طه حسين الى خطرها من حيث انها تقلل من أهمية الكتاب كوسيلة للتثقيف ٠

---

(١٢٩) طه حسين ، « حوار » ، **الجمهورية** (القاهرة) ، ٥ أكتوبر ١٩٥٤ ٠
(١٣٠) **مستقبل الثقافة** ، ص ٣٨٢ ٠

وعلى هذا الأساس يجب وضع هذه المؤسسات تحت المراقبة والتوجيه ، ولكن ليس بواسطة ادارة الأمن العام أو ادارة المطبوعات ، بل بواسطة هيئات من المثقفين تشرف من بعيد (١٣١) .

ثانيا : تصورات طه حسين فى بعض قضايا التعليم :

لم يهتم طه حسين بوضع حلول فنية لمشكلات التعليم فى عصره ، بل كان معظم اهتمامه ينصب على القضايا الكبرى التى قد تعرقل مسيرة التوسع فى التعليم التى كان يقودها ويباركها :

ولذلك فليس فى كتاباته ما يوجد فى كتابات القبانى من دراسة التفاصيل الفنية حول مشكلة تربوية تعليمية محددة ، وهذا طبيعى اذ لم يكن اهتمامه منصبا كلية على التربية والتعليم مثل القبانى ، بل كانت مشاغله الجامعية والصحفية ومؤلفاته الأدبية تستأثر بجزء كبير من وقته .

وبالرغم من ذلك فان استقراء كتاباته يوقف الباحث عن هذا الجانب على لمحات جديرة بالاهتمام ، فقد وردت فى كتاباته اشارات الى بعض القضايا التعليمية مثل :

(أ) كثــافة الفصــول :

يناقش طه حسين قضية ازدحام الفصول بالتلاميذ من خلال حديثه عن تقريرين أحدهما وضعه « أحمد نجيب الهلالى » وزير المعارف ، والثانى وضعه « حافظ عفيفى » فى كتابه « على هامش السياسة ، بعض مسائلنا القومية » ، فقد كان الهلالى فى تقريره يؤكد أن ازدحام المدارس بالطلاب يقوم عقبة دون التعليم الصحيح المنتج على حد تعبير طه حسين ، فهو يشغل النظار عن المراقبة

(١٣١) المرجع السابق ، ص ٣٨٣ . .

الدقيقة للتلاميذ ، ويمثل عبئا على المعلمين فى الدرس وفى تصحيح الكراسات .

أما « حافظ عفيفى » فقد أضاف الى هذا بعدا اجتماعيا مؤداه أن التوسع فى انشاء المدارس الابتدائية يستتبع توسعا فى المدارس الثانوية ثم في الجامعة ومعاهد التعليم العالى ، فاذا عجزت المرحلة الثانوية أو الجامعية عن استيعاب الواردين اليها ساعد ذلك على وجود بطالة ووجود سخط عام في المجتمع قد يصل الى درجة الضغط على الحكومة والبرلمان ، مما يخلق المشكلات السياسية ، ويؤدى الى فرض الأمر الواقع ، وارغام الجامعة والمدارس الثانوية على قبول مالا طاقة لها به .

ويضيف طه حسين بعد هذا العرض وجهة نظر له هو ، مؤداها أن الكثافة المرتفعة فى الفصل الواحد تحول بين المعلمين والنظار وبين واجبهم فى العناية بالتلاميذ فردا فردا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان زيادة العدد تجعل من المستحيل أن يكون تحصيل الطلاب طيبا فى اللغات والعلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء ، مما يحتاج الى أن « يتجه المعلم الى التلميذ من حيث هو فرد ليتحقق من أنه انتفع بدرس اللغة ، وفقه ما سمع وما رأى من درس الطبيعة والكيمياء » (١٣٢) .

ولعل وجهة النظر التى قدمها طه حسين ـ مع وجاهتها ـ تثير تساؤلا مهما حول شبهة وجود تناقض بين الخط العام الذى يسير فيه فكر طه حسين في مجال التربية من حيث التوسع فى التعليم ، وبين ضرورة تحديد عدد التلاميذ على نحو ما سبق بيانه ؟

وقد يكون الجواب الذى قدمه طه حسين على هذا التساؤل

---

(١٣٢) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

كافيا لتأكيد أنه لا يتجاهل كيف التعليم على حساب التوسع كما يرى أصحاب القباني •

يقول طـــه حســـين :

« ليس يرضينا أن يكون فى المدرسة ألف من التلاميذ على حين أنها لا تستطيع أن تعلم تعليما صالحا الا نصف الألف ، وليس يرضينا أن تقبل هذه المدرسة نصف الألف وأن يرد النصف الآخر الى البطالة والضياع ، وانما نريد ألا تقبل المدرسة من التلاميذ فوق طاقتها من جهة ، وألا يرد طالب العلم عن العلم من جهة أخرى • نريد ألا نكلف المدارس فوق ما تطيق ، وأن تنشأ المدارس كلما كثر الاقبال على التعليم العام ، واشتدت رغبة الناس فيه » (١٣٣) •

فطه حسين يرى ــ كما هو واضح من النص ــ أن الحل هو انشاء المزيد من المدارس ، وتلك المسئولية مسئولية الدولة ، وهذا بدوره يثير تساؤلا آخر حول مدى سماح الامكانات المالية للدولة ، وهنا يكون رد طه حسين نابعا من واقع فكره السياسى والاجتماعى ، فهو يجيب على هذا التســـاؤل بأن التعليم ليس ترفا تعجز عنه الامكانات المالية ، بينما تسمح لغيره ، « فالتعليم حاجة ضرورية للشعب لا تقل عن حاجته الى الدفاع الوطنى المتين » (١٣٤) •

(ب) الكتب المدرســـية :

فى الوقت الذى كتب فيه طه حسين « مستقبل الثقافة » ، كان النظام السائد يقتضى تعاقد وزارة المعارف مع بعض المؤلفين ، ثم تقوم الوزارة بطبع الكتب المدرسية المتعاقد عليها وتوزيعها على

---

(١٣٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ •

(١٣٤) المرجع السابق ، ص ١٢٨ •

التلاميذ ، وكانت الدراسة آنذاك بمصروفات ، اذ لم تتقرر المجانية فى التعليم الابتدائى الا فى الأربعينيات ، بينما صدر مستقبل الثقافة ١٩٣٨ ٠

وقد هاجم طه حسين هذا النظام مؤكدا أن التجارة فى الكتب والأدوات المدرسية ليست من شئون وزارة التعليم ، وقدم اقتراحا « أقل ما يوصف به أنه جرىء يخالف المألوف ولكنه قريب من الحق والعـــدل » ٠

وملخص اقتراح طه حسين فى هذا الصدد أن وزارة المعارف بدلا من أن تضع نفسها موضع الريبة من حيث محاباتها لهذا المؤلف أو ذاك ، عليها أن تضع مناهج التعليم وبرامجه واضحة جلية بريئة من اللبس والغموض ، ثم تترك الناس أحرارا يؤلفون الكتب التى تطابق هذه المناهج والبرامج ، وتكتفى هى بتأليف لجان تدرس هذه الكتب بعد تأليفها وطبعها ، لتحدد ما يصلح منها » (١٣٥) ٠

وسيترتب ــ من وجهة نظره ــ على هذه العلاج عدة نتائج ، أفضل منها أن ذلك يرد الى العلم حرية هو فى حاجة اليها ، واتاحة الفرصة للمعلمين والمؤلفين لاستغلال نشاطهم فى التأليف والتنافس فيه ، وأخيرا تخفيف المصروفات على أولياء الأمور ، فالطالب الفقير قد يكتفى بالقراءة فى المكتبة ، أو قد يشترى كتبا من زميله الذى انتقل الى فرقة أعلى بدلا من تقييد كل الطلاب بالشراء من الوزارة ضمن ما يدفعون من مصروفات » (١٣٦) ٠

ولا يفوت طه حسين بعد عرض هذا الاقتراح الاشارة الى أن المدارس الأوربية تعامل تلاميذها على هذا النحـــو ، ومع ذلك « لم تطلع الشمس من المغرب ، ولم تقع السماء على الأرض » ٠

---

(١٣٥) المرجع السابق ، ص ١٧٣ ٠

(١٣٦) المرجع السابق ، ص ١٧٣ ٠

وتجدر الاشارة الى أن طه حسين كان يولى كتب النحو المدرسية اهتماما كبيرا حيث كان يشفق على النشء ، « وشباب المتعلمين من عاصفة النحو وصعوباته ، وكثيرا ما دعا الى تيسيره ، وقد استجابت وزارة المعارف لهذه الدعوة ، وشكلت لذلك لجنة سنة ١٩٣٠ كان طه حسين أحد أعضائها ، وانتهت اللجنة الى قرارات أحيلت بعد ذلك الى المجمع اللغوى » (١٣٧) :

ومع اهتمام طه حسين بموضوع الكتب التى تقرر فى وزارة المعارف ، ومع اشتراكه فى تأليف الكثير منها ، فقد حدث عندما عرض عليه تقرير لجنة الكتب الاضافية للمدارس الثانوية وما فى مستواها ، حدث أن لاحظ – وهو وزير للمعارف آنذاك – أن من بين هذه الكتب كتابين من تأليفه ، وبالرغم من أنهما كانا مقررين من قبل توليه الوزارة ، الا أنه رفض أن يعتمد هذا التقرير الا بعد حذف الكتابين وتقرير كتابين آخرين غيرهما (١٣٨) ، مما يؤكد أنه ظل ملتزما بما نادى به من ضرورة أن تبتعد الوزارة عن شبهة المحاباة فى تأليف الكتب المدرسية .

(ج) تعليم اللغات الأجنبية :

كان الوضع السائد فى مصر فى الثلاثينيات هو اقتصار المدارس الحكومية على تعليم اللغتين الانجليزية والفرنسية ، وقد تعرض طه حسين لهذه المسألة من عدة زوايا ، وعاد بهذه الظاهرة الى ارتباطنا السياسى بفرنسا أولا ، ثم ببريطانيا بعد الاحتلال .

---

(١٣٧) ابراهيم بيومى مدكور ، « طه حسين المجمعى » **مجلة الهلال** (القاهرية) ابريل ، ١٩٧٥ ، ص ٣٢ .

(١٣٨) مصطفى الشهابى ، « طرائف ومواقف من حياة طه حسين » ، **مجلة الهلال (القاهرية)** ، ابريل ، ١٩٧٥ ، ص ٥٧ .

وقد قام اهتمام طه حسين بمسألة اللغات الأجنبية على أساس أن حاجة مصر اليها ـ وهى فى بداية نهضتها ـ أشد من حاجة الدول الاوربية الى اللغات الأجنبية نظرا لأن اللغة العربية « لا تزال بعيدة كل البعد عن أن تنهض بحاجات الثقافة الحديثة والتعليم الحديث » ، وينظر طه حسين الى المسألة من زاوية التعليم العالى الذى لا يكتفى بلغة أجنبية واحدة أو بلغتين ، انما هو فى حاجة الى أعظم حل ممكن من اللغات الأجنبية ، نظرا لحاجته الى تغطية تخصصات على مستوى رفيع منها ما يحتاج الى الألمانية مثلا ، أو الايطالية ، أو اللغات السامية ، ومثل هذه المشكلة أحستها كلية الآداب بصفة خاصة ، حيث احتاجت الى ارسال بعض طلابها الى ألمانيا ، والى ايطاليا ، وهؤلاء المبعوثون محتاجون الى وقت طويل ليتعلموا اللغة الألمانية والايطالية ، وذلك يكلف الدولة أموالا طائلة لو أن مثل هذه اللغات كانت متاحة فى مدارس مصر » (١٣٩) ٠

وينتهى طه حسين الى ضرورة أن تقتنع وزارة المعارف باتاحة تدريس هذه اللغات الأربع ، ويختار الطلاب منها ما يشاءون حسب ميولهم وطموحاتهم ٠

(د) الامتحـــانات :

ينظر طه حسين الى مشكلة الامتحانات فى شىء من الغضب ، فهى مشكلة عسيرة الى أبعد حدود العسر ، سخيفة الى أقصى غايات السخف « لا تفسد التعليم وحده ، وانما تفســد معه الأخلاق والسياســة » ٠

فالأصل فى الامتحانات أنها وسيلة لقياس تحصيل التلميذ ومدى استحقاقه النقل من فرقة الى فرقة ، ومن مستوى الى مستوى

---

(١٣٩) مستقبل الثقافة ، ص ٢٠٥ وما بعدها ٠

أعلى حسب قدرته • أما اذا انقلبت الأوضاع وأصبحت الأمور تجرى على أساس أن الامتحان غاية فى ذاته وليس وسيلة فسدت العملية التعليمية وفقدت جدواها ، ويحلل طه حسين ما يترتب على هذا الوضع من افساد للأخلاق وللعقول فيقول :

« وما رأيك فى الصبى الذى ينشأ على اعتبار الوسائل غايات والغايات وسائل فيفهم الأشياء فهما مقلوبا ، ويحكم عليها حكما معكوسا ؟ أتظنه يستطيع أن يفهم أمور الحياة فهما صحيحا ، ويحكم عليها حكما مستقيما ؟!! » (١٤٠) •

وهو يرى أن هذا يفسد العقل ، كما وضح من مثاله الذى ضربه • أما فيما يتعلق بالأخلاق فهو يذكر ما يتم علاجا لحالات الرسوب من اعادة الامتحان فى الدور الثانى أول العام الدراسى المقبل للراسبين ، ومن اعادة الامتحان فى بعض المواد دون بعضها الآخر ، ومن خفض درجات النجاح فى بعض الأحيان ، ومن تدخل الحكومة بقرار حكومى فى أحيان أخرى •

ويترتب على اكبار قيمة الامتحان أن الوزارة تنظر اليه فى شىء من الحذر والحرج والترقب والرهبة الى درجـــة « التقديس » مما يفقد المعلم الثقة فى نفسه بعد أن شكت فيه الوزارة (١٤١) •

والحل الذى يقترحه طه حسين للمشـــكلة يتمثل فى الغاء امتحانات النقل فى مدارس التعليم العام الا لضرورة ، على أن يترك للمدرسة تحديد هذه الضرورة • ويذكر طه حسين أن هذا الاقتراح سيقع موقعا غريبا من وزارة المعارف وستنكره عليه فيسارع بالقول بأن « هذا النظام متبع فى فرنسا وفى المدارس الفرنسية القائمة بمصر

---

(١٤٠) المرجع السابق ، ص ١٦٠ •

(١٤١) المرجع السابق ، ص ١٦٤ •

فلا بأس من الأخذ به، ثم منح المعلم الثقة مادامت الوزارة تأتمنه على التلميذ فلتطلب اليه أن يختبر التلميذ كل ثلاثة أشهر على الأقل، وأن يمنحهم درجات على هذا الاختبار، فاذا كان آخر العام روجعت هذه الدرجات ليتقرر في ضوئها ما اذا كان التلميذ يستحق النقل الى الفرقة الأعلى أم لا يستحق، فان استحق تم نقله، وان لم يستحق أدى امتحانا، فان نجح فيه نقل، وان رسب أعاد السنة » (١٤٢) ٠

وخلاصة رأيه فى مشكلة الامتحانات :

١ ـ الغاء امتحانات النقل، واجراء اختبارات شهرية، ويكون الامتحان للضرورة لمن لم يستوف شروط النقل بدون امتحان ٠

٢ ـ تيسير امتحانات الشهادات العامة ٠

٣ ـ منح المعلم ما هو أهل له من الثقة ٠

ويدخل فى نطاق الامتحانات امتحان المسابقة الذى ابتدعته الوزارة بعد خروج طه حسين، والذى يعكس فكر القبانى التربوى ٠ وقد هاجم طه حسين هذا النظام سنة ١٩٥٤ مرتئيا أن هناك وسيلتين لحل مشكلة القبول بالتعليم الثانوي، **احداهما** « أن نمتحن التلاميذ امتحانا سمحا يطيقونه ولا يضيقون به، ثم نأخذ من الناجحين بقدر ما تسمح المدارس دون تحديد لمجموع معين »، **والثانية** التوسع فى انشـــاء المدارس الثانوية توسيعا على الناس وتيسيرا لأمورهم، أما المسابقات فهى عبء ثقيل على نفوس التلاميذ والآباء « فليس التلاميذ ضروبا من الفاكهة التى نشتريها فنتخيرها متشددين فى هذا التخير ٠٠ ليس التلاميذ ليمونا ولا برتقالا، وليسوا بطيخا ولا شماما نفحصه أشد الفحص قبل أن نشتريه، وانماهم ناس

---

(١٤٢) المرجع السابق، ص ١٦٥ ٠

مثلنا ، ولهم من صغر سنهم ما يجعل أمورهم من أمورنا عمرا وأعظم منها غموضا » (١٤٣) ٠

وهذا التيسير الذى ظل طه حسين ـ حتى بعد خروجه من السلطة ـ ينادى به فى كل ما يخص أمور التعليم هو الذى سبب الخلاف بينه وبين القبانى الذى رأس تحرير صحيفة التربية منذ ١٩٤٨ وحشد فيها عددا كبيرا من مناصريه يتصدون لكل آراء طه حسين ، على الرغم من أن بعض هؤلاء الكتاب بعد أن يذكر كلمة « سياسة الكم » التى ربطوها بطه حسين يعرض اقتراحات لا تخرج فى مجملها عن آراء طه حسين نفسه (١٤٤) ٠

---

(١٤٣) طه حسين ، « رفقا بالأبناء والآباء » ، **الجمهورية** (القاهرية) ، ١١ يونية ، ١٩٥٤ ٠

(١٤٤) على سبيل المثال : عباس عمار ، « مشكلات التعليم الثانوى فى مصر » **صحيفة التربية** ، **يونيو ١٩٤٨** ، ص ١٩ ٠

الفصل الخامس

(فى ادارة التعليم وتنظيمه وتمويله)

اولا : فى ادارة التعـــــليم

ثانيا : فى تنظيم التعـــــليم

ثالثا : فى تمويل التعـــــليم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من واقع عنوان هذا الفصل ، ستكون هذه السطور تغطية لفكر طه حسين التعليمى بشيء من التفصيل من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشتمل كل قسم على ما قام به من جهد من أجل وضع هذا الفكر موضع التطبيق سواء بالتأثير من خارج السلطة ، أو بالشكل التنفيذى المباشر وحين كان هو نفسه صاحب السلطة ·

ففيما يتعلق بادارة التعليم وتنظيمه وتمويله قدم طه حسين الكثير من التصورات على النحو التالى :

أولا : فى ادارة التعليم :

تتركز سلطة التعليم فى مصر على المستوى القومى فى يد وزارة التعليم بالقاهرة ، فهى صاحبة السلطة فى التخطيط واتخاذ القرارات التعليمية واصدار اللوائح التنفيذية التى تنظم العمل المدرسى ·

وعلى المستوى الاقليمى كانت مجالس المديريات التابعة لوزارة الداخلية هى التى تتولى الاشراف على المدارس داخل الأقاليم ·

وقد وجه طه حسين كثيرا من الانتقادات العنيفة لسياسة وزارة المعارف ، ووصفها بالاضطراب ، ذلك أن المسائل الفنية المتعلقة بالتعليم تتغير بتغير الوزير الذى يتغير بدوره حسب الظروف السياسية ·

وطه حسين يرى ـ تفاديا لهذا الاضطراب ـ أن على الفنيين

بوزارة المعارف أن يكونوا لأنفسهم آراء يقتنعون بها ، ويثبتون عليها ، وينصحون للوزراء دائما ليبينوا لهم أن شئون التعليم لا تحتمل الاضطراب ولا التغيير المستمر ، وعلى هؤلاء الفنيين أن يقاوموا تشبث الوزير برأيه الى درجة الاستقالة من عملهم « اذا كان الاختلاف بينهم وبين الوزير من الشدة والمساس بالمسائل الجوهرية بحيث يضطرهم الى الاستقالة » (١٤٥) ٠

وطه حسين الذى كتب هذا النقد سنة ١٩٣٧ ، ألزم نفسه به حين ولى أمر وزارة المعـــارف سنة ١٩٥٠ حيث دخل عليه بعض الموظفين للتهنئة ٠ يقول طه حسين :

« كان من بينهم السيد يوسف ـ الذى تولى الوزارة فى عهد عبد الناصر فيما بعد ـ وبعد أن هنأنى همس فى أذنى : ان قرارات الوزير السابق ـ محمد العشماوى ـ منذ أسبوع قد أوقفتها لترى رأيك فيها ، وكان ردى عليه : ومعنى هذا أنك ستفعل معى كما فعلت مع غيرى ، وزير أمضى قرارات لماذا تعطل ولا تنفذ ؟ ، وأمر طه حسين بنقله من الوزارة الى منطقة الجيزة » (١٤٦) ، ولا شك فى أن هذا الموقف يؤكد مدى التزام طه حسين بما نادى به من قبل خمسة عشر يوما ، ومدى شدته فيما يعتقد أنه الصواب ٠

وقد قدم طه حسين تصورا شبه متكامل لاصلاح التعليم على المستوى القومى يتمثل فى اصلاح ديوان الوزارة الذى يعانى من الموظفين الذين يخضعون السياسات التعليمية لأهوائهم الشخصية ٠

واشتمل تصوره على انشاء مجلس أعلى للتعليم « تمثل فيه فروع التعليم كلها ـ بما فى ذلك التعليم العالى ـ وتمثل فيه عناصر

---

(١٤٥) مستقبل الثقافة ، ص ١٣٨ ٠

(١٤٦) محمد الدسوقى ، ايام مع طه حسين ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨) ، ص ٧٣ ٠

ليست من وزارة المعارف ، ولكنها تتصل بالتعليم من قرب أو من بعد ، وتستطيع أن تشير فى أمره بالقيم من الآراء ، يختص هذا المجلس بمشورته يقدمها للوزير فى كل ما يقدم عليه من أمر خطير يمس التعليم ، ويؤلف من بين أعضائه لجنة دائمة تهيىء له أعماله من جهة ، وتشير على الوزير فى الحياة التعليمية اليومية من جهة أخرى ، ويكون المجلس وحده هو المختص بتأديب المعلمين » (١٤٧) ٠

ان انشاء هذا المجلس من شأنه ضمان الاستمرار لسياسة التعليم ومنعها من التقلقل والاضطراب على حد تعبير طه حسين ، كما أن تمثيل المعلمين فيه احياء لشخصيتهم ، واعتراف بشأنهم ، واشعار لهم بأن أمورهم الى أنفسهم ٠

ويشمل تصور طه حسين لاصلاح ادارة التعليم على المستوى القومى الى جانب اصلاح الديوان وتنظيمه ، وانشاء المجلس الأعلى للتعليم ، ويشمل الى جانب ذلك اعادة النظر فى تنظيم مراقبات التعليم ، وكان لكل نوع من أنواع التعليم مراقب يرجع فى سلطته الى وكيل الوزارة ثم الى الوزير (١٤٨) ٠ وقد اقترح طه حسين فى هذا الصدد أن يتغير اسم المراقبة « هذا اللفظ السمج وما يشتق منه « الى لفظ آخر سائغ سهل مقبول ، وهو لفظ : الادارة » على ألا يستقل المراقب أو المدير بأمر ادارته ، وانما ينشأ له مجلس صغير تكون له رياسته ، على أن يؤلف هذا المجلس من بعض المعلمين فى الادارة أو المراقبة ومن بعض العناصر البعيدة من الديوان ، فعلى سبيل المثال : ادارة التعليم الثانوى يمكن أن يؤلف لها مجلس من خمسة أعضاء هم : المدير واثنان يمثلان الجامعة ، واثنان يمثلان التعليم الثانوى أحدهما مفتش والثانى ناظر أو معلم » (١٤٩) ،

---

(١٤٧) مستقبل الثقافة ، ص ١٤٣ ٠
(١٤٨) المرجع السابق ، ص ١٤٩ ٠
(١٤٩) المرجع السابق ، ص ١٤٥ ٠

هذا التصــور سيفيد فى تبادل الخبرات وربط الجامعة بالتعليم الثانوى الذى يمدها بما تحتاجه ٠

وقد ورد هذا الاقتراح الأخير فى تقرير رفعه طه حسين الى مراد سيد أحمد باشا وزير المعارف ، حين ألف لجنة سياسة التعليم التى تقبلت هذا التقرير ولكنها لم تتمكن من تنفيذ شيء نظرا لتغير الوزير ، ومجيء عيسى باشا الذى لم يكن بينه وبين طه حسين الا العداوة والتنافر ، مما عطل هذه اللجنة ٠

ونقطة أخرى وجه اليها طه حسين انتقاداته وهى المركزية فى ادارة التعليم حيث كانت وزارة المعارف تشرف « على جميع مدارس التعليم العام والتعليم العالى ، كما كانت تشرف على الجامعة ومصلحة الآثار ودار الكتب وغير ذلك من الهيئات التعليمية والثقافية »(١٥٠)، وهذا العبء الكبير على الوزارة من شأنه اضعاف مستوى التعليم وعجز الوزارة عن الوفاء بما تحتاجه العملية التعليمية من دقــة ومتابعة ٠ وقد سبق طه حسين فى انتقاد هذا الوضع « أحمد نجيب الهلالى باشا » وزير المعارف فى تقريره المشهور عن التعليم الثانوى ، حيث ورد بهذا التقرير « أن وزارة المعارف قد ركزت فى يدها كل ما يختص بالتعليم تركيزا ألغى شخصية المدارس الغاء ، وأعجز القائمين على أمر التعليم من نظار ومدرسين عن احداث أى أثر فى تكييف التعليم أو توجيه التربية ٠٠ وكما على هذا التركيز يد النظار والمدرسين ، غل يد الوزارة نفسها عن العناية بالمسائل الفنية عناية كافية مثمرة » (١٥١) ٠

وقد أشار طه حسين ـ حين انتقد نظام المركزية ـ الى تقرير الهلالى ، وعتب على الهلالى أنه لم يبدأ باصلاح الديوان قبل التفكير فى اصلاح التعليم ، وأبدى طه حسين فى انتقاده تشككه فى أن

---

(١٥٠) سيد الجيار ، مرجع سابق ، ص ١٨١ ٠

(١٥١) احمد نجيب الهلالى ، التعليم الثانوى ، عيوبه ووسائل اصلاحه ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٥) ، ص ٢ ٠

وزارة المعارف لا تأخذ أمر المركزية هذا مأخذ الجـــد ثم ختم انتقاداته بقوله :

« ان نظام المركزية قد طال عهده ، واشتد ضغطه على هذا الجيل القائم من النظار والمعلمين ، ففقدوا أو كادوا يفقدون ذوق الحرية والابتكار ، والشخصية العاملة التى تقدم عن بصيرة ، وتمضى فى حزم ، وتثبت على ما ترى ، ولا تفكر فيما عسى أن يقول المفتش وما عسى أن يقول المراقب ، وما عسى أن يقول الوكيل ، وما عسى أن يصنع الوزير ·· فهذه علة مستعصية لا تعالج بالهوادة والرفق والأناة ، وانما بعملية جراحية قد لا يكون الاقدام عليها يســـيرا ولا ملائما للظروف السياسية والاجتماعية » (١٥٢) ·

وعلى أية حال ، فقد شهدت سنة ١٩٣٩ الخطوة الأولى نحو اللامركزية حيث تم تقسيم القطر الى ست مناطق تعليمية وهى : القاهرة ، وشرق الدلتا ، وغرب الدلتا ، ووسط الدلتا ، ومصر الوسطى ، ومصر العليا (١٥٣) ، غير أن معظم مؤرخى التعليم متفقون على أن سلطة هذه المناطق كانت محدودة أو شبه منعدمة مما لم يسفر عن كبير توفيق ·

ولا يستطيع الباحث القطع بأن هذا التقسيم جاء نتاجا للحملة التى شنها طه حسين والهلالى على المركزية الشديدة ، ولكن هذه الانتقادات كانت سابقة على هذه الخطوة ·

وفيما يتعلق بالنقطتين اللتين سلفت الاشارة اليهما وهما انشاء مجلس أعلى للتعليم واصلاح ديوان الوزارة فقد تم تشكيل هذا المجلس برئاسة وزير المعارف سنة ١٩٤٠ ، أى بعد عامين من ظهور اقتراح طه حسين فى كتاب « مستقبل الثقافة » مما يشير الى احتمال كبير أن يكون رأى طه حسين وراء انشاء هذا المجلس

---

(١٥٢) **مستقبل الثقافة** ، ص ١٤٢ ·

(١٥٣) حسن الفقى ، **مرجع سابق** ، ص ١٨٣ ·

لاسيما وأن اقتراحه كان مفصلا فيما يتعلق بالتشكيل والاختصاصات، ومع ذلك فان هذه نقطة ليست كبيرة الجدوى .

وقد دخلت تعديلات على المجلس كان أبرزها التعديل الذى جرى فى عهد طه حسين والذى تمكن من خلاله من تطبيق ما نادى به فيما يتعلق بهذا المجلس تطبيقا وافيا ، وكما سبق ، كان طه حسين يرى أن تمثل الجامعة وأن يمثل المعلمون ، وأن يمثل المهتمون بأمور التعليم فى هذا المجلس ، وأن يختص المجلس - وحده - بتأديب المعلمين .

وقد جاء التعديل الذى جرى فى عهد طه حسين بحيث يعكس فكر طه حسين فى هذه النقاط المحددة .

ففى ١٩ مارس ١٩٥١ صدر المرسوم بتعديل انشاء المجلس الأعلى للتعليم ، ولعل اثبات نصه هنا يؤكد صحة الاستنتاج السابق :

« بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ٤ مارس ١٩٤٠ بانشاء المجلس الأعلى للتعليم المعدل بالمرسوم الصادر فى ١١ أكتوبر ١٩٤٨ ، وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة مجلس الوزراء ، رسمنا بما هو آت :

مادة (١) : يستعاض عن المادتين ١ ، ٢ من المرسوم المشار اليه بالنصين الآتيين :

مادة (٢) : ينشأ بوزارة المعارف العمومية مجلس يسمى « المجلس الأعلى للتعليم » ويؤلف على الوجه التالى :

* وزير المعارف العمومية — رئيسا
* المستشار الفنى ووكلاء الوزارة ، والوكلاء المساعدون — أعضاء
* مديرو الجامعات — أعضاء
* السكرتير العام لوزارة المعارف العمومية — أعضاء

* المدير العام للشئون القانونية والتحقيقات ٠
* أستاذ عن كل جامعة ينتخبه مجلسها لمدة ثلاث سنوات عضــو
* عشر أساتذة يمثلون فروع التعليم ونواحى التخصص المختلفة يعينهم وزير المعارف لمدة ثلاث سنوات أعضاء
* أربعة من المهتمين بالتعليم يعينون لمدة ثلاث ســنوات بمرسوم يصدر بناء على طلب وزير المعارف أعضاء

ويجوز تجديد مدد الأعضاء المنتخبين أو المعينين ، واذا خلا محل أحدهم قبل انتهاء مدته ينتخب أو يعين بدله للمدة الباقية لســـلفه » ٠

مادة (٢) : يستشار المجلس فى الأمور الآتية :

١ ـ السياسة العامة للتعليم ٠

٢ ـ خطط الدراسة والشروط الأساسية للامتحانات وغير ذلك من قوانين التعليم ٠

٣ ـ انشاء معاهد التعليم والغاؤها ٠

٤ ـ كل ما يرى الوزير استشارته فيه من شئون التعليم ٠

٥ ـ احالة رجال التعليم من الدرجة الخامسة فما فوق الى مجالس التأديب واستئناف الأحكام الصادرة من تلك المجالس (١٥٤)٠

وقد أتيح لطه حسين فى الفترة التى تولى فيها منصب المستشار الفنى لوزير المعارف (من ٤ فبراير ١٩٤٣ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٤٤) أن يسهم فى تحقيق كثير من آرائه السابقة فيما يتعلق بادارة التعليم ، هذا فضلا عن السنتين اللتين قضاهما وزيرا للمعارف (من يناير ١٩٥٠ ـ الى يناير ١٩٥٢) ، ويذكر محمد حسن الزيات فى مذكراته أن النحاس باشا عندما اختار طه حسين وزيرا للمعارف،

---

(١٥٤) الوقائع الرسمية ، عدد ٢٦ مارس ١٩٥١ ، ص ١٤٥ وما بعدها ٠

طلب طه حسين مهلة للتفكير ، ثم ذكر النحاس بأنه ملتزم ببرنامج التعليم الذى وضعه سنة ١٩٣٧ فى مستقبل الثقافة ، فوافق النحاس على أن ييسر له تطبيق هذا البرنامج (١٥٥) ٠

من منطلق هذا الالتزام تمكن طه حسين من استكمال تطبيق ما جاء فى برنامجه بعد أن كان قد حقق منه جزءا خلال توليه منصب المستشار الفنى للوزارة من (١٩٤٢ - ١٩٤٤) حيث تمكن - وهو مستشار - من ادخال بعض التنظيمات الجديدة على ديوان الوزارة فى النواحى الفنية والادارية ، فأنشئت فى ذلك الوقت ادارات جديدة أهمها : ادارة الميزانية ، وادارة التغذية ، وادارة الصحافة والتحرير ، وادارة الشئون القانونية والتحقيقات ، كما أنشىء مكتب فنى للمشروعات الجديدة فى التعليم (١٥٦) ٠

أما فى الوزارة فقد صدرت عدة قرارات تستهدف تنظيم ادارة التعليم على المستوى القومى ، وعلى المستوى الاقليمى والمحلى ، من أهمها :

* قرار وزارى رقم ٩٤٧٨ لسنة ١٩٥٠ الذى قضى بفصل المراقبة العامة للتغذية عن الادارة العامة للصحة المدرسية ، وبمقتضاه أصبحت المراقبة العامة للتغذية مستقلة ٠
* قرار وزارى رقم ٩٤٨٩ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مناطق اقليمية للتعليم واعادة التنظيم الفنى والادارى لشئون الوزارة ، وتوسيع سلطات نظار المدارس ٠
* قرار وزارى رقم ٩٢٢٣ لسنة ١٩٥٠ بانشاء أربع مناطق تعليمية جديدة فى البحيرة والقنال والمنيا وجرجا ٠

---

(١٥٥) محمد حسن الزيات ، « ما بعد الأيام » ، مجلة المصور (القاهرية) عدد ٨ أبريل ١٩٨٢ ٠

(١٥٦) حسن الفقى ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ ٠

(١٥٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ٠

* قرار وزارى ٩٣٦٣ لسنة ١٩٥٠ بانشاء ادارة مستقلة تشرف على شئون المطبوعات المختلفة ، وتسمى « ادارة المطبوعات » .

وقد بلغ عدد المناطق التعليمية تسع عشرة منطقة هى : منطقة الجيزة بالقاهرة الشمالية ، والقاهرة الجنوبية ، ومنطقة الزقازيق ، والقنال ، وشبين الكوم ، والمنصورة ، وطنطا ، وبنها ، والاسكندرية ، والبحيرة ، وكفر الشيخ ، وبنى سويف ، والمنيا ، والفيوم ، وأسيوط ، وقنا ، وسوهاج ، وأسوان ، ويعد هذا دفعا ملحوظا نحو اللامركزية ، بعد أن كان عدد هذه المناطق عشر مناطق فقط سنة ١٩٤٦ فأصبح تسع عشرة بالقرار الوزارى رقم ١٠٩٨٤ لسنة ١٩٥١ .

ثانيا : فى تنظيم التعليم :

قدم طه حسين كثيرا من التصورات فى مجال تنظيم التعليم حيث نادى بأن تخضع كل أنواع التعليم لاشراف الدولة لسبب معقول وهو : « توحيد مناهج التعليم فى ناحية مهمة وهى التاريخ القومى والجغرافية القومية واللغة القومية ، بحيث يشمل اشراف الدولة كلا من : التعليم الالزامى ـ الابتدائى ـ الثانوى ـ الحر الفنى ـ الدينى (الأزهرى) ، وهو حين يقترح هذا « لا يريد أن تكون المدارس كلها فى مصر متشابهة متوافقة تصب فى قالب واحد ، ولكن يجب أن يكون بينها شىء من التنوع والاختلاف فى المناهج والبرامج والنظام ، ولكن بشرط أن تتفق كلها فى مقدار من المناهج والبرامج ، يكفل تكوين الشخصية الوطنية فى نفس التلميذ .. » (١٥٨) .

وقد تمكن طه حسين خلال الفترة من ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ من

---

(١٥٨) مستقبل الثقافة ، ص ٧١ .

تحقيق المجانية ـ التى كثيرا ما طالب بها ، والتي تتضمنها كثيرا صفحات مستقبل الثقافة ـ فى التعليم في المرحلة الأولى ، وكما نجح في اعلان مجانية التعليم الابتدائي « نجح مرة ثانية فى تقرير مجانية التعليم الثانوى سنة ١٩٥١ حين أصبح وزيرا » (١٥٩) ٠

وقد أولى طه حسين عناية كبيرة للتعليم الحر ، ففى سنة ١٩٢٣ هاجم غلبة الروح التجارية على حركة انشاء المدارس الأهلية ، وذكر أمثلة على هؤلاء الذين انحرفوا باتجاهات التعليم الحر فى مقابل الكسب المادى » (١٦٠) ٠

وكان معلمو التعليم الحر يعانون من عدم ضمهم الى الحكومة ، ووقوعهم تحت سيطرة أصحاب المدارس مما حدا بهم الى الاضراب سنة ١٩٤٧ ، وقد كتب طه حسين مقالا تعاطف فيه مع هؤلاء المعلمين وقال فيه : « ان المعلم الذى يعلم فى المدرسة الحرة مصرى كالمعلم الذى يعلم في مدرسة الدولة ، له حقوقه كلها ، ولا ينبغى أن توجد فروق بين أبناء الوطن الواحد ، وأبناء المهنة الواحدة ، ان أيسر العدل أن يسوى بين الناس فيما تفرض عليهم ظروف الحياة من الظلم ، أما أن يظلم بعضهم ظلما يسيرا ، وأن يظلم بعضهم الآخر ظلما غليظا ، فهذا هو الشيء الذى لا يمكن أن يقبل ، ولا ينبغى للدولة أن تتورط فيه » (١٦١) ٠

وقد وضـــع طه حسين هذه الآراء موضع التنفيذ حين ولى الوزارة ، حيث أصدر القرار الوزاري رقم ٩٣٩٤ لسنة ١٩٥٠ الذى

---

(١٥٩) حسن الفقى ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ ٠

(١٦٠) سعد مرسى أحمد ، وسعيد اسماعيل على ، تاريخ التربية والتعليم ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٣) ، ص ٥٢٣ ٠

(١٦١) طه حسين ، « هؤلاء المعلمون المصريون » ، مجله المصور ، (القاهرية) ١١ أبريل ، ١٩٤٧ ٠

نص على تعويض المدارس الأولية الحرة المعانة من الوزارة نظير تعميم المجانية فيها ٠

كما صدر القرار الوزارى رقم ٩٤٢٣ لسنة ١٩٥٠ بمد سن التقاعد فى التعليم الحر الى السابعة والستين ، والقرار الوزارى رقم ١٠٠٨٧ لسنة ١٩٥١ بتنظيم الادارة العامة للتعليم الحر ، ولمعالجة قضية المعلمين التى اهتم بها طه حسين « أصدرت الوزارة قانونا فى ديسمبر ١٩٥٠ بتحويل جميع المشتغلين بالمدارس الحرة الى الكادر الحكومى ، فأصبح نحو ١٠٦٤٣ مدرسا موظفين فى الدولة يسرى عليهم ما يسرى على زملائهم موظفى وزارة المعارف » (١٦٢) ٠

وأبرز جهود طه حسين فيما يختص بتنظيم التعليم اصدار القانون رقم ١٠٨ لسنة ١٩٥٠ بتحويل المدارس التابعة لمجالس المديريات التي كانت تخضع لوزير الداخلية الى وزارة التعليم « وبمقتضاه دخل فى نطاق التعليم بوزارة المعارف ٣٦٠٣ مدرسة أولية بها نحو ٦٣٣٨٦٢ تلميذا وتلميذة » (١٦٣) ٠

ثالثا : في تمويل التعليم :

من الحق الإعتراف بأن اجتهادات طه حسين النظرية فيما يتعلق بتمويل التعليم محدودة ، ولعل عجزه البصرى ، وامكاناته الشخصية المرتبطة بالقدرات الرياضية العددية ، وكونه أديبا ذا نظرة انسانية شاملة ، أكثر منها نظرة محدودة ، لعل هذا كله يفسر عدم اقحامه

(١٦٢) وزارة المعارف العمومية ، تقرير عن تطور التعليم فى العام الدراسى ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٥٢) ، ص ٧ ٠

(١٦٣) المرجع السابق ، صص ٥ـ٦ ٠

نفسه فى تفاصيل النواحى الاقتصادية المرتبطة باصلاحاته التعليمية التى كان ينادى بها أو ينقدها ٠

وفيما يتعلق بعملية تمويل التعليم كان طه حسين يقترح ثلاثة مصادر عليها عبء هذا التمويل :

١ ـ الدولـــــة ٠

٢ ـ الأغنيـــــاء ٠

٣ ـ فرض ضريبة تخصص للتعليم (١٦٤) ٠

وفى مستقبل الثقافة أحاديث شتى عن مسألة التمويل ، فهو حينا يدعو الى تدبير الأموال على أساس أن التعليم حاجة ضرورية كالدفاع الوطنى وليست ترفا ، وحينا يدعو الوزارة الى توفير الأموال التى ينفقها المفتشون فى تنقلاتهم من العاصمة الى أقاصى الجمهورية ، وتخصيص هذه الأموال لمشروعات تعليمية أخرى على أن يستعاض عن ذلك بتطبيق اللامركزية فى التفتيش (١٦٥) ٠

وقد استطاع خلال توليه الوزارة أن يقوم بخطوات بناءة فيما يتعلق بالتمويل حيث ألح على الحكومة فى زيادة الميزانية المخصصة للوزارة لمواجهة الاصلاحات التى قام بها ، وفى مقدمتها المجانية فى رياض الأطفال ، والتعليم الثانوى ، فزادت ميزانية وزارة المعارف من ١٨ مليونا سنة ١٩٤٩ الى ٢٨ مليونا سنة ١٩٥٢ ، كما يتضح من الجدول التالى (١٦٦) :

---

(١٦٤) طه حسين ، الجهل حريق ، جريدة الجمهورية ، (القاهرية) ، ١٣ اكتوبر ١٩٥٧ ٠

(١٦٥) مستقبل الثقافة ، ص ١٥٧ ٠

(١٦٦) حسن الفقى ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ ٠

جدول يبين تطور ميزانية التعليم

السنة	ميزانية التعليم	نسبة الميزانية الى الميزانية العامة
٤٩/٤٨	١٨ر٦٥٦ر٨١٧	١٧ر١٠٪
٥٠/٤٩	٢٢ر١٤٥ر٧٣٧	١١ر٨١٪
٥١/٥٠	٢٦ر٧٣٨ر٤٤٠	١٢ر٩٨٪
٥٢/٥١	٢٨ر٣٦٣ر٦٥٩	١٢ر٤٣٪

كما كان يقوم بنفسه ـ معتمدا على شهرته كأديب جماهيرى ـ بزيارات للمحافظات ليخطب فى الجماهير ، ويشجع الأغنياء على التبرع بأموالهم لمشروعات التعليم ، ويروى الزيات فى مذكراته أنه فى زيارته للمنصورة حدث أن انهالت عليه الدعوات ، فاقترح عليه مدير الاقليم أن يعتذر عن عدم تلبيتها ، فرفض طه حسين هذا الاعتذار ، وأبلغ المدير أنه سيقبل كل الدعوات بشرط أن يكون « فنجان القهوة بألف جنيه ، والأكل غداء ، أو عشاء بعشرة آلاف ، وهذه المبالغ تخصص لبناء المدارس ٠٠ اننى أريد أراضى يتبرع بها أصحابها للمبانى ، وأريد أموالا ، فوزير المالية أعطى كل ما يستطيع »٠٠(١٦٧) ٠

هذه الروح فى معالجة قضية خطيرة مثل قضية تمويل التعليم كان لها أثرها فى نفوس الشعب ، فساهم بدور كبير فى انشاء المدارس وتمويل المشروعات التعليمية ٠

مما سبق يتضح أن رؤية طه حسين فى مجال ادارة التعليم وتنظيمه وتمويله تتحدد فى النقاط التالية :

❋ كان يرفض التغيير المستمر والتقلب فى السياسات التعليمية

(١٦٧) محمد حسن الزيات ، « ما بعد الايام » ، مجلة المصور ، (القاهرية) ٨ أبريل ، ١٩٨٢ ٠

التى ترتبط بأشخاص الوزراء ورأيه فى القضاء على هذه الظاهرة يتمثل فى ضرورة تمسك كبار موظفى الوزارة بآرائهم الفنية المدروسة واقناع الوزراء بها ، كما يتمثل أيضا فى تشكيل مجلس أعلى للتعليم يضمن استقرار السياسة التعليمية واستمرارها ٠

* هاجم النظام المركزى الذى كانت تأخذ به وزارة المعارف هجوما متواصلا ، وتمكن خلال مناصبه أن يزيد من عدد المناطق التعليمية فى الأقاليم لتخفيف العبء عن الوزارة ، ولكن يبدو أن تلك المناطق — حتى فى عهده — لم تأخذ حقها الكامل فى التصرف ٠

* كان يرى أن تخضع كل أنواع التعليم لاشراف الدولة لضمان قدر مشترك من الثقافة القومية لأبناء الشعب الواحد ، كما طالب بأن تقوم المدارس الأجنبية بتدريس اللغة القومية والدين والتاريخ والجغرافية القومية ، كما طالب بمساواة معلمى المدارس الحرة بمعلمى المدارس الخاضعة للحكومة ، وقد استطاع من خلال مناصبه أن ينفذ كثيرا من هذا حيث تحققت على يديه مجانية التعليم الابتدائى ١٩٤٤ ، ثم تمكن من توحيد أنواع تعليم المرحلة الأولى حين أصبح وزيرا ، كذلك ضم جميع معلمى المدارس الحرة الى الكادر الحكومى ، كما ضم بمقتضى القانون ١٠٨ لسنة ١٩٥٠ مدارس المديريات التى كانت تتبع وزير الداخلية الى وزارة التعليم ٠

* كان يرى أن تمويل التعليم يكون واجبا على الدولة اذا آمنت الدولة بأن التعليم ضرورة قومية كالدفاع الوطنى تماما ، وكان يقترح أن يساهم الأغنياء فى الانفاق على التعليم ، فاذا عجزت الدولة عن الوفاء باحتياجات التعليم وتقاعس الأغنياء عن القيام بدورهم ، فلا بأس من فرض ضريبة لهذا الغرض ، ولكن فى النهاية يؤخذ عليه عدم اهتمامه الكافى باقتصاديات التعليم وربطها بأفكاره الديمقراطية الجريئة ٠

الفصـل الســادس

(فى التعليم العام والفنى)

أولا : تعليم المرحلــة الأولى

ثانيا : التعليــم الثانــوى

ثالثا : التعليــم الفنـــى

أولا : تعليم المرحلة الأولى :

كان تعليم المرحلة الأولى أشد أنواع التعليم اضطرابا وتضاربا لما كان يسوده من ازدواج وتنوع ، وما كان يصرفه من مصروفات ورسوم . وقد اهتم طه حسين في مقالاته بهذا النوع من التعليم الذي يضم التعليم الأولى المنتهى ، والتعليم الابتدائي الذي يوصل الى الثانوى الى جانب رياض الأطفال والمدارس الأولية الحرة ، بالاضافة الى التعليم الالزامى الذى أوجد من سنة ١٩٢٥ .

ولم يكن طه حسين مقتنعا بهذا التقسيم الذي من شأنه اعاقة تقديم حد أدنى مشترك من الثقافة القومية التى تهيىء المصرى الناشىء للمواطنة الصالحة ، وعلى هذا الأساس هاجم تلك الأحوال المضطربة للتعليم فى المرحلة الأولى وارتكزت رؤيته التى قدمها على محورين اثنين هما :

١ ـ ضرورة توحيد التعليم فى المرحلة الأولى .

٢ ـ ضرورة تحقيق المجانية في هذا التعليم .

وهذان المحوران يعكسان بوضوح السمة الأولى من سمات فكر طه حسين التربوية وهى الديمقراطية ، « ويتجلى أثر الفكر الديمقراطى عندما يرفض طه حسين أن يقتصر التعليم على طبقة اجتماعية دون أخرى ، أو أن يباح التعليم فى القانون لجميع الناس،

ثم تخلق المصاعب العلمية أمام الفقراء لتضطرهم الى الاكتفاء بالتعليم الأولى » (١٦٨) ٠

وفى مستقبل الثقافة يقترح طه حسين أن « يتاح لتلاميذ التعليم الأولى الالزامى الالتحاق بالتعليم العام الذى يمثل المرحلتين الابتدائية والثانية ، على أن تضاف اليه سنة عاشرة تستقطع من مدة التعليم الجامعى » (١٦٩) ٠

وعلى هذا الأساس يكون التعليم الأولى الالزامى متاحا للجميع، لأنه ضرورة قومية ،ويكون ما يسميه « بالتعليم العام » وهو الذى يجمع الابتدائى والثانوى القائم متاحا لمن هم فى مستواه ، بحيث يمكن للذين يتمون التعليم الأولى أن يتصلوا بالتعليم العام « بحيث يعفون من أوله ، ويأخذونه من وسطه ليمضوا مع اخوانهم فيه الى نهايته » (١٧٠) ٠

وحتى يتبين مدى تمكن طه حسين من تنفيذ آرائه تلك ، يتحتم استعراض أوضاع تعليم المرحلة الأولى بشكل موجز ، فبعد انشاء المدارس الالزامية سنة ١٩٢٥ أصبح هناك ثلاثة أنواع من مدارس المرحلة الأولى :

★ المدارس الالزامية بما تقدمه من تعليم نصف يومى لمدة خمس سنوات ٠

---

(١٦٨) أحمد عزت عثمان ، « أثر الفكر الديمقراطى على تعليم المرحلة الأولى فى مصر فى الفترة من ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢ م » رسالة ماجستيز قدمت الى كلية التربية جامعة أسيوط ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٧ ٠

(١٦٩) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ ٠

(١٧٠) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ ٠

(١٧١) محمد منير مرسى ، ادارة وتنظيم التعليم العام ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٤) ، ص ٢٥ ٠

★ المدارس الأولية ذات اليوم الكامل ومدتها أربع سنوات ٠

★ المدارس الابتدائية ذات اليوم الكامل ومدتها أربع سنوات ٠

وكانت المدرسة الابتدائية هى أفضل هذه الأنواع لتميزها بتدريس لغة أجنبية وكونها توصل التعليم الثانوى ٠

وقد ثبت اخفاق تجربة التعليم الالزامى على الرغم من أن الوزارة حاولت انقاذ التجربة من الفشل ، حيث تضمن مشروع اصلاح التعليم الالزامى سنة ١٩٤١ تحويل المدارس الالزامية الى نظام اليوم الكامل ، وجعل مدة الدراسة بها أربع سنوات سواء فى ذلك المدارس التابعة للوزارة والمدارس التابعة لمجالس المديريات والتى تشرف عليها وزارة الداخلية ٠

نتيجة لاختناق هذه التجربة ، ونتيجة لضغوط المفكرين ، اتخذت عدة خطوات تستهدف تصحيح أوضاع تعليم المرحلة الأولى، ومن أهم هذه الخطوات ما قام به طه حسين من الغاء المصروفات المدرسية فى التعليم الابتدائى سنة ١٩٤٤ « وكان لهذا القرار أهميته القصوى ، فقد أزال الأسوار التى كانت تفصل بين المدرستين الابتدائية والأولية » (١٧٢) ٠

والخطوة الأخيرة فيما يتعلق بتعليم المرحلة الأولى كانت صدور القانون رقم ١٤٣ لسنة١٩٥١الذى عكس بوضوح فلسفة طه حسين وآراءه ، حيث « نصت المادة ٨١ منه على أن تتولى وزارة المعارف ادارة التعليم الابتدائى فى جميع أنحاء البلاد ، كما نص هذا القانون على أن تنشأ فى كل منطقة تعليمية لجنة استشارية لشئون ذلك التعليم تختص بتحضير مشروع ميزانية بالمنطقة ، وتعيين الجهات

---

(١٧٢) سيد النجار ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ ٠

التى تنشأ بها المدارس اللازمة لها وتحديد العطلات المدرسية ، ودراسة الرغبات الاقليمية الخاصة بذلك التعليم ، واقتراح ما يتبع بشأنها » (١٧٣) ٠

وبمقتضى هذا القانون أصبح التعليم الرسمى يبدأ بالنسبة لكل طفل فى السادسة وليس قبل ذلك ، وبمقتضاه أيضا وحد هذا التعليم فى المرحلة الأولى ، وقضى على الفوارق بين المدرستين : الابتدائية والأولية « وقد أتاح هذا التوحيد فرصا متكافئة للجميع، وسوى بين عناصر الأمة فى مرحلة الثقافة الأولى ، والواقع أن مناهج المرحلتين ـ الأولية والابتدائية المتكافئتين ـ واحدة فى جميع المواد مع فارق بسيط هو أن المدارس الأولية تستزيد من منهج اللغة العربية نظرا الى اعفائها من دراسة لغة أجنبية فى السنتين الأخيرتين من هذه المرحلة ، ويسمح للتلاميذ الذين أتموا دراستهم بالمدارس الأولية أن يدخلوا امتحان شهادة اتمام الدراسة الابتدائية على أن يعفوا من امتحان اللغة الانجليزية ، ويستعاض عنها بامتحان اضافى فى اللغة العربية تمهيدا لالحاق الناجحين منهم بفصول خاصة بالمدارس الثانوية » (١٧٤) ٠

وكانت الخطوة التى سبقت القانون ١٤٣ لسنة ١٩٥١ الذى قضى بتوحيد تعليم المرحلة الأولى هى صدور القانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٥٠ الذى تقررت بمقتضاه المجانية فى رياض الأطفال والتعليمين الثانوى والفنى ٠

تتبقى بعد ذلك نقطة مهمة فيما يتعلق بتعليم المرحلة الأولى

---

(١٧٣) مؤتمر التعليم الالزامى المجانى للدول العربية ، **تعليم المرحلة الأولى فى مصر** ، (**القاهرة** : مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، ١٩٥٤) ص ٤١ـ٤٢ ٠

(١٧٤) وزارة المعارف العمومية ، **تقرير عن التعليم الأولى وتعليم الكبار ومحو الأمية** ، ديسمبر ١٩٥٠ ، ص ٤ ٠

وهى الدراسات المسائية التى اقترح طه حسين في مستقبل الثقافة أن تتاح « لمن تنقطع بهم السبل عن مواصلة التعليم بعد انهائهم مرحلة التعليم الأولى » (١٧٥) ٠

هذا الاقتراح وجد طريقه الى التنفيذ أيضا بصدور القرار الوزارى رقم ٩٨٩٨ لسنة ١٩٥١ بانشاء فصول دراسية مسائية للحاصلين على الشهادات المتوسطة ٠

وبوجه عام يمكن ابراز حجم الجهد الكبير الذي بذله طه حسين في أوضاع تعليم المرحلة الأولى من خلال الخطوات التنفيذية التي اتخذها وهو في موقع السلطة ، ومن أهمها بصيفة عامة :

★ قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٥٠ بتقرير مجانية التعليم في رياض الأطفال ٠

★ قرار وزارى رقم ١٩٨٠ لسنة ١٩٥٠ بأن تراقب الوزارة حالة التعليم في رياض الأطفال بعد جعلها مجانية ٠

★ قرار وزارى ٩٢٧٩ لسنة ١٩٥٠ بجعل خطة الدراسة بالفرقتين الأولى والثانية بالمدارس الأولية الراقية للبنات ، ومدارس التربية النسوية مماثلة لخطة الدراسة بالفرقتين الخامسة والسادسة من المدارس الأولية ٠

★ قرار وزارى رقم ٩٣٩٤ لسنة ١٩٥٠ بتعويض المدارس الأولية الحرة التي تعينها الوزارة نظير تعميم المجانية فيها ٠

★ قانون رقم ١٠٨ لسنة ١٩٥٠ بنقل اختصاصات مجالس المديريات بشئون التعليم الأولى الى وزارة المعارف العمومية ٠

★ قانون ١٤٣ لسنة ١٩٥١ بتنظيم التعليم الابتدائى تنظيما شمل اخضاع جميع أنواعه للوزارة ٠

---

(١٧٥) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٩٥ ٠

ثانيا : التعليم الثانوى :

كانت نظرة طه حسين الى التعليم الثانوى مرتبطة ـ الى حد كبير ـ بأهداف هذا التعليم ، فلم يكن التعليم الثانوى فى نظره ضروريا ضرورة التعليم الأولى الالزامى . « فليس من الضرورى أن يعرف أبناء الشعب جميعا مقدارا متوسطا من الطبيعة والرياضة والكيمياء وعلوم الحياة ، وليس من الضرورى أن يعرف أبناء الشعب جميعا مقدارا متوسطا من تاريخ أوربا وأمريكا ، وليس من الضرورى أن يعرف أبناء الشعب جميعا لغة أجنبية أو لغتين أجنبيتين » (١٧٦) ٠

من هنا يتضح أن التعليم الثانوى مختلف عن التعليم فى المرحلة الأولى من حيث طبيعته ، ومن حيث مدته ، ومن حيث غايته التى ينتهى اليها ، وعلى هذا الأساس فان الدراسة مضطرة الى أن تتكلف لهذا التعليم جهودا أشق وأعنف ، ونفقات أكثر وأضخم مما تتكلف للتعليم الأولى من حيث تجهيزات المدرسة ومعاملها ، وعلى هذا الأساس يرى طه حسين أن هذا اللون من التعليم لا يجب أن يكون الزاميا ، ولذلك « فمن حق الدولة أن تأخذ عليه أجرا من القادرين على دفع هذا الأجر ، وفى الوقت نفسه عليها أن تحط ثقله عن العاجزين عن أدائه » (١٧٧) ٠

ويقترح طه حسين أن يكون الحاق غير القادرين على دفع المصروفات بالتعليم الثانوى عن طريق مسابقات تعقد لهم ضمانا للحقوق ، وتجنبا للفوضى ٠ ويشير طه حسين الى تجربة فرنسا فى تعميم التعليم العام (الثانوى) واباحته مجانيا للجميع ، وهو يرى

(١٧٦) مستقبل الثقافة ، ص ١٠٦ ٠

(١٧٧) المرجع السابق ، ص ١٠٨ ٠

أن هذا المسلك الذى سلكته فرنسا ملائم للحق ، وملائم لما ينبغى من البر بالفقراء ، ولكنه يعترف بأن فيه شيئا من الاثقال على ميزانية الدولة • ويضيف أنه يظن أن مصر بعد أن حققت مجانية التعليم الابتدائى ستحقق قريبا بغير شك مجانية التعليم الثانوى (١٧٨) •

وهذه الأفكار تنعكس بوضوح على تقرير أحمد نجيب الهلالى الذى صدر سنة ١٩٤٣ حين كان طه حسين مستشارا فنيا له وهو وزير للمعارف للمرة الثانية ، فالهلالى يعرض تجارب الدولة المتقدمة ثم يقول (١٧٩) :

« ومجمل ما تقدم أن الأسباب المجتمعة تفرض على مصر أن تساير الأمم الأخرى فى الأخذ بمبدأ تكافؤ الفرص لجميع أفراد الشعب على التساوى ، وما يستلزمه ذلك من تقرير المجانية العامة فى التعليمين الابتدائى والثانوى ، حتى يجد كل مصرى فرصته للتعليم الذى يناسب مؤهلاته ، ويحقق النفع له وبه ، وبغض النظر عن فقره أو غناه أو منزلته الاجتماعية » (١٨٠) •

ويضيف الهلالى : أن الأخذ بهذا المبدأ يقتضى تنويع المدارس الثانوية أنواعا عادية وزراعية وصناعية وتجارية ، وهذا الرأى أيضا ذكره طه حسين فى مستقبل الثقافة فى حديثه عن البطالة التى يزعم بعض أنصار تطبيق التعليم أنها ستنتج عن التوسع فى التعليم الثانوى ، ويرد طه حسين على هذا الزعم بأن حل أزمة

---

(١٧٨) المرجع السابق ، ص ١١١ •

وهذه الاضافة مذكورة فى هامش الصفحة ولاحقة لتاريخ تاليف الكتاب كما هو واضح ، مما يدل على انها اضيفت الى الكتاب فيما بعد •

(١٧٩) احمد نجيب الهلالى ، **تقرير عن اصلاح التعليم فى مصر** ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٤٢) ، ص ٣٦ •

البطالة سيكون بتحقيق الصلة بين التعليم النظرى والحياة العملية، وبتنويع التعليم نفسه ، بحيث لا يصب المتعلمون جميعا فى قالب واحد ، ولا يصاغون صياغة واحدة ، وانما يتحقق بينهم شىء من التنوع والاختلاف ، يدفعهم الى التنافس ، ويمكنهم من الجهاد ، ولعله يتيح لهم الابتكار ، وهو على كل حال يعدهم اعدادا حسنا للقاء الحياة فى غير عجز ولا يأس ، ولا قنوط (١٨٠) ٠

وهذا يدل بوضوح على أن طه حسين فى الفترة التى قضاها مستشارا فنيا لوزير المعارف أحمد نجيب الهلالى من ١٩٤٢ — ١٩٤٤ كان وراء كثير من الاصلاحات التى قامت بها الوزارة من ناحية ، ومن ناحية أخرى مهد للاصلاحات التى قام بها حين تولى الوزارة بعد ذلك سنة ١٩٥٠ ٠

وقد ساعده في ذلك ما كان بينه وبين الهلالى من مودة وتقارب فكرى حتى أن الهلالى يعترف بأن مصطلح « تكافؤ الفرص » الذى ظهر فى تلك الفترة كان من نتاج فكر طه حسين الذى صادف هوى فى نفس الهلالى فأقره حتى أصبح لفظا أو اصطلاحا معترفا به وان رفضه البعض » (١٨١) ٠

وأيا ما كان مدى التأثير والتأثر بين الهلالى وطه حسين ، فان انجازات الوزارة فى مجال التعليم الثانوى من ١٩٤٢ — ١٩٤٤ كانت محدودة ، ولا تعبر بوضوح عن فكر طه حسين فى مجال التطبيق ٠

أما فى فترة توليه الوزارة من ١٩٥٠ — ١٩٥٢ فقد استطاع طه حسين أن يفعل الكثير بالنسبة للتعليم الثانوى من عدة وجوه ٠

---

(١٨٠) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ١٢١ ٠

(١٨١) أحمد الهلالى ، (تكافؤ الفرص بين الجد والهزل » ، مجلة الكاتب المصرى (القاهرة : أكتوبر ١٩٤٥) ، ص ٢٨ ٠

(١٨٠) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ١٢١ ٠

« ولعل أهم خطوة تتصل بالسياسة التعليميـة فى المرحلة الثانوية هي تقرير مجانية التعليم الثانوى في عام ٥٠/ ١٩٥١ .. ومن الثابت أن تقرير المجانية فى ذلك الوقت كان قرارا جريئا اذا علمنا أن دولة كبرى مثل انجلترا لم تقرر مجانية التعليم الثانوى الا فى عام ١٩٤٤ » (١٨٢) .

وقد كان القانون المشهير ١٤٢ لسنة ١٩٥١ الخاص بالتعليم الثانوى نقطة فاصلة فى تاريخ هذا التعليم فى مصر من حيث نتائجه وأفكاره الجريئة ..

وتمثل انجازات طه حسين فى مجال التعليم اصلاحا جذريا وتنظيما شاملا لهذه المرحلة التى وصفها فى مستقبل الثقافة بأنها أشد مراحل التعليم اضطرابا . كما تعد هذه الانجازات قمة الصراع بين طه حسين واسماعيل القبانى ، فحين ولى طه حسين الوزارة كان تنظيم التعليم الثانوى خاضعا للقانون رقم ١٠ لسنة ١٩٤٩ الذى كان مشتملا على معظم فكر القبانى فيما يتعلق بالتعليم الثانوى . وقد أوقف طه حسين العمل بهذا القانون ، واستمر العمل بالقوانين السابقة حتى ألغاه القبانى حين قامت الثورة . وأصدر القانون رقم ٢١١ لسنة ١٩٥٣ » (١٨٣) .

وبمقتضى القانون ١٢٤ لسنة ١٩٥١ وحدت المناهج ، ونظم الامتحانات ، والنجاح والقبول فى السنتين الأولى والثانية من المرحلة الثانوية ، ورسمت بالمرحلة الاعداديـة وأعطى الحق للطلاب فى الانتقال خلال هذه المرحلة الاعدادية من المدارس الفنية الى المدارس

---

(١٨٢) سيد الجيار ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

(١٨٣) شوقى عبد السلام ضيف ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

الثانوية أو العكس طبقا لميولهم وقدراتهم (١٨٤) .

وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة وردت فى هذا القانون تعكس فكر طه حسين النظرى فيما يتعلق بمجانية هذا النوع من التعليم الذى سبق أن اعتبره طه حسين غير ضرورى لكل أفـراد الشعب ، فقد قيد القانون مجانية التعليم الثانوى ، رعاية لميزانية الدولة ، فنصت المادة ٥٠ منه على « أنه لا يجوز للطالب الذى يعيد الدراسة مرتين بالمرحلة الثانوية ، أو من جاوزت سنه ٢١ سنة أن يتمتع بالمجانية بحيث لا يبقى بها من يعيد للمرة الثالثة » (١٨٥) .

وفيما يتعلق بتنظيم التعليم الثانوى كان هذا القانون يتيح فى السنتين الأوليين دراسات عامة كما سبق القول ، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الاعدادية ، ثم يؤدى الطالب امتحانا عاما يتابـع بعده الدراسة النظريـة بالمدارس الثانوية العامة لمـدة سنتين ، أو الدراسة بالمدارس الفنية لمدة ثلاث سنوات (تجارى — زراعى — صناعى — نسوى) « ثم يمتحن بعدها امتحانا عاما يحصل بعده على شهادة الثقافة ، ثم يتم التلميذ بالثانوى العام دراسته لمدة سنة أخرى يتخصص فيها فى شعبة الآداب أو شعبة العلوم ، أما تلميذ التعليم الثانوى الفنى فيتم دراسته لمدة سنة أو سنتين يتم فيهما تخصصه (١٨٦) .

وقد ترتب على صدور هذا القانون اصلاحات أخرى فى التعليم الثانوى تمثل آراء طه حسين ، « فقد تقرر الغاء امتحانات النقل من فرقة الى فرقة أعلى اكتفاء بشرط نسب معينـة لحضور الدراسة (٨٠٪) ومتوسـط عام لأعمال التلميذ فى كل مادة أثناء العـام

(١٨٤ ، ١٨٥) منير عطا الله سليمان وآخرون ، **تاريخ ونظام التعليم فى ج٠م٠ع** ، الطبعة الثالثة (القاهرة : مكتبـة الأنجلو ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٤ .

(١٨٦) حسن الفقى ، **مرجع سابق** ، ص ٢٠٠ .

الدراسى لا يقل عن ٥٠٪ » (١٨٧) .

كما ارتبط بهذا القانون أيضا قرار باستقلال المدارس الثانوية وما فى مستواها من الوجهة الفنية واعفائها من اشراف مراقبى المناطق ، ليكون لكل ناظر من نظار المدارس الثانوية مطلق الحرية فى النهوض بمدرسته وادخال ما يراه من وجوه الاصلاح (١٨٨) .

ويمكن اجمالا تحديد حجم اسهام طه حسين فى تنظيم التعليم الثانوى خلال توليه الوزارة من واقع القرارات الآتية :

★ قرار وزارى رقم ٩٤٣٥ لسنة ١٩٥٠ بتعديل خطة الدراسة بالمدارس الثانوية للبنين والبنات والثانوية الفنية والفنون الطرزية .

★ قرار وزارى رقم ١٠٥١٥ لسنة ١٩٥١ بتأليف لجنة لوضع القرارات واللوائح التنفيذية للتعليم الثانوى العام والفنى .

★ قرار وزارى رقم١٠٤١٣ لسنة ١٩٥١ بتحديد اللغات الأجنبية التى تدرس فى المدارس الثانوية ، وبيان الأصلى منها والاضافى ، وقد سبق بيان وجهة نظر طه حسين فى هذه النقطة فى الفصل السابق .

★ قرار وزارى رقم ١٠٣١٦ لسنة ١٩٥١ بانشاء ١٤ مدرسة ثانوية جديدة فى مبان مستقلة .

★ قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٥٠ بتقرير المجانية فى التعليم الثانوى والفنى ورياض الأطفال .

★ قانون ١٠٩ لسنة ١٩٥٠ بوقف العمل بأحكام القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٤٩ م الخاص بتنظيم المدارس الثانوية واعادة

---

(١٨٧) وزارة المعارف العمومية ، **تقرير عن تطور التعليم فى العام الدراسى ١٩٥١/٥٠** ، ص ٨ .

(١٨٨) **المرجع نفسه** ، ص ٩ .

العمل بالقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٢٨ الخاص بتنظيم المدارس الثانوية للبنين وامتحان شهادة الدراسة الثانوية ·

ثالثا : التعليم الفنى :

من الناحية النظرية لم يعر طه حسين التعليم الفنى اهتماما ملحوظا ، ولكن المستقرىء لكتاب مستقبل الثقافة ، ولمقالات طه حسين الصحفية ، لا يعدم اشارات مضيئة حول هذا النوع من التعليم ·

ففى مستقبل الثقافة يعترف طه حسين بأنه يترك الحديث فى التعليم الفنى الى المعنيين بشئونه ، لأنه على حد قوله لا يحسن العلم به ولا القول فيه (١٨٩) ، وهذه أمانة تحمد له وليست تقصيرا يؤخذ عليه ·

ولكنه مع ذلك يقدم بعض الآراء حول هذا التعليم الذى لا ينبغى أن يقتصر على محتواه الفنى ، « بل يجب أن يضاف اليه مقدار من الثقافة يترقى فى اطراد ما أقام هؤلاء التلاميذ فى مدارسهم ، بحيث اذا خرجوا منها ظافرين بالمهنة التى أرادوا أن يصطنعوها كانوا قد أخذوا فى الوقت نفسه بحظ حسن من الثقافة التى تباعد بينهم وبين الجهل ، وتقارب بينهم وبين المعرفة ، وتزيد ما تعلموه فى المدارس الأولية ، ورسوخا فى عقولهم ، وامتزاجا بنفوسهم ، وتجعلهم شبانا لا يعملون بأيديهم ليعيشوا فحسب ، بل يعملون بأيديهم وعقولهم وقلوبهم أيضا » (١٩٠) ·

ولكن هذا الاغفال للحديث عن التعليم الفنى لا يعكس ازورارا من جانب طه حسين عن هذا التعليم ، بقدر ما يعكس رغبته ــ كما صرح ــ فى عدم الخوض فيما لا يحسن من الحديث ·

---

(١٨٩) مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٩٤ ·

(١٩٠) المرجع السابق ، صص ٩٤ ـ ٩٥ ·

ولعل أهم خطوة فى تاريخ التعليم الفنى تلك التى خطاها على يد طه حسين من خلال القانون ١٤٢ لسنة ١٩٥١ الذى أوقف التعليم الفنى على قدم المساواة مع التعليم الثانوى الأكاديمى مستهدفا بذلك المساهمة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتخفيف الضغط على التعليم الثانوى النظرى ، مما يتيح اعداد التلاميذ « اعدادا ثقافيا متشابها يسمح للطلاب وهم فى سن الرابعة عشرة فما فوقها ، حين تستبين مواهبهم ، ويبرز استعدادهم ، أن يحولوا من نوع الى آخر دون كبير مشقة ، ويواصل الطلاب دراساتهم بعد المرحلة الاعدادية (وهى عبارة عن السنتين الأوليين من المرحلة الثانوية) كل بحسب استعداده حتى نهاية المرحلة فى السنة الخامسة .. » (١٩١) .

وقد عكس التقرير الصادر عن وزارة المعارف فى عام ٥٠/١٩٥١ أفكار طه حسين فيما يتعلق بتحقيق قدر من الثقافة العامة لطلاب التعليم الفنى ، حيث جاء بالتقرير :

« وقد راعت الوزارة ألا يتخلف طلاب المدارس الثانوية الفنية من زراعية وتجارية وصناعية ونسوية عن زملائهم طلاب المدارس الثانوية العلمية فى مواد الثقافة العامة ، بحيث انهم اذا انتهوا من دراساتهم الفنية ، وسمحت درجاتهم أمكنهم مواصلة الدراسة مدة عام أو اثنين ، ليلتحقوا بعدها بالمعاهد أو بكليات الجامعة حسب استعدادهم » (١٩٢) .

وهذه الفرصة التى أتاحها القانون ١٤٢ لسنة ١٩٥١ لطلاب التعليم الفنى للالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا تعد طفرة فى تاريخ

---

(١٩١) وزارة المعارف العمومية ، تقرير عن تطور التعليم فى ٥٠/٥١ ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(١٩٢) المرجع السابق ، ص ٨ .

هذا التعليم ٠ ومع ذلك لم تترك اعتباطا حسب الظروف ، بل كانت منتظمة بحيث ان القانون قسم الدراسة فى كل نوع من أنواع التعليم الثانوى الى ثلاث مراحل :

١ ــ المرحلة الاعدادية (سنتان)

٢ ــ المرحلة المتوسطة : مرحلة الثقافة (سنتان)

٣ ــ المرحلة النهائية : مرحلة التوجيهية (سنة)

« ومعنى ذلك أن مرحلة الثقافة الفنية الزراعية والصناعية والتجارية والنسوية وهى التى تلى مرحلة الدراسة الاعدادية ومدتها سنتان دراسيتان فقط ، تنتهى بامتحان عام للحصول على شهادة الدراسة الاعدادية الفنية ، كانت تستمر حتى نهاية السنة الخامسة (وبعكس الحال فى المدارس الثانوية العلمية التى كانت تستمر حتى السنة الرابعة فقط ، يعقبها سنة توجيهية) حيث يعقد امتحان عام للحصول على شهادة الثقافة الزراعية أو الصناعية أو التجارية أو النسوية ، أما الفرق التوجيهية فى الدراسات الفنية ، وكان القانون ينص على أن تنشأ بكل نوع من الدراسات الثانوية الفنية فرقة توجيهية مدتها سنة أو سنتان ، يقبل بها الراغبون فى متابعة الدراسة بكليات الجامعة أو المعاهد العليا بشروط خاصة ، وتنتهى بامتحان ، على أن يمنح بعده الناجحون فيه شهادة تؤهلهم للالتحاق بالجامعات أو المعاهد العليا » (١٩٣) ٠

وتعطى القرارات الآتية صورة اجمالية عن حجم اسهام طه حسين فى تطوير وتنظيم واصلاح التعليم الفنى :

---

(١٩٣) نبيل أحمد عامر صبيح ، التعليم الثانوى فى البلاد العربية ، (القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١) ، ص ٢٢٨ ٠

★ قرار وزارى رقم ٩١٠١ لسنة ١٩٥٠ بتطبيق نظام المجانية على الدراسات التكميلية لخريجى المدارس الصناعية .

★ قرار وزارى رقم ٩٩٤٦ لسنة ١٩٥١ بتشكيل اللجنة الاستشارية الدائمة للتعليم الزراعى .

★ قرار وزاري رقم ٩٨٩٨ لسنة ١٩٥١ بانشاء فصول دراسية مسائية للحاصلين على الشهادات المتوسطة .

★ قرار وزارى رقم ٩٤٣٥ بتعديل خطة الدراسة بالمدارس الثانوية للبنين والبنات والثانوية الفنية والفنون الطرزية .

★ قرار وزارى رقم ٩٤٥٥ لسنة ١٩٥٠ بتقسيم المدارس الزراعية .

★ قرار وزارى رقم ٩٤٧٣ لسنة ١٩٥٠ بتقسيم المدارس التجارية .

★ قرار وزارى رقم ٩٥٠٩ لسنة ١٩٥٠ بتقسيم المدارس الصناعية الثانوية .

★ قرار وزارى رقم ٩٥١٩ لسنة ١٩٥٠ بتقسيم المدارس الصناعية الابتدائية .

من حجم هذه القرارات والقوانين يتبين أن طه حسين بذل جهدا غير عادى فى تنظيم التعليم العام والتعليم الفنى ، وبصفة خاصة القانون ١٤٢ لسنة ١٩٥١ بتنظيم التعليم الثانوى ، والقانون ١٤٣ لسنة ١٩٥١ بتنظيم التعليم الابتدائى ، حيث ضيق الأول الفجوة بين التعليمين : الأكاديمى ، والفنى ، ووحد الثانى بين التعليمين : الأولى والابتدائى .

وتجدر الاشارة الى أن الفرق بين هذين النوعين الأخيرين من

جهـة اللفظ لا يكاد يكون واضحا ، « ولكن اذا رجعنـا الى اللفظ المستعمل للدلالة على المدرسـة الابتدائيـة فى بلد كبريطانيـا Primary School وجدنا أنه يحمل فى ثناياه اشارة الى الترتيب والى أن هناك مدرسة ثانية تليها وهى Secondary School وذلك على العكس تمامـا من اللفظ الدال على المدرسـة الأولية Elementary School التى كانت تشير الى معهد يقدم نوعا من التعليم البسيط لأولاد الجماهير ، وهى مرحلة منتهية بالنسبة لهؤلاء (١٩٤) .

وهذا الفرق الجوهرى هو الذى يزيد من عظمة الدور الذى قام به طه حسين ، حين نص القانون على توحيد المرحلة كلها .

نقطة أخيرة فيما يتعلق بالامتحانات فى التعليم العام ، فقد سبقت الاشارة فى الفصـل السابق الى أن طـه حسين كان يرى التخفيف من الامتحانات فى سنوات النقل ، والنظر اليها كوسيلة وليس كغاية .

هذا الرأى وجد الطريق الى التطبيق على يدى طه حسين حين نص القانون ١٤٢ لسنة ١٩٥١ على عقد امتحان عام للحصول على الشـهادة الاعـدادية تقوم به المنـاطق التعليمية ، ويكون شفهيا وتحريريا ، كما نص على النقل بدون امتحانات من فرقـة لأخرى بشرط الحضور بنسبة ٨٠٪ ، كما نص على جواز عقد امتحان دور ثـان لسنوات النقـل ، لمـن لم يستوف شروط النقـل بـدون امتحانات (١٩٥) .

---

(١٩٤) احمد حسن عبيد ، **فلسفة النظام التعليمى وبنية السياسة التربوية** ، (القاهرة : مكتبة الانجلو ، ١٩٧٦) ، ص ١٥٤ .

(١٩٥) يوسف الصفتى ، **التقويم والامتحان ، دراسة توثيقية تحليلية** ، المركز القومى للبحوث التربوية ، ١٩٨٠) ص ٤٨ ـ ٤٨ .

الفصـــل الســـابع

(فى التعليم العـــالى)



يتناول هذا الفصل اسهامات طه حسين فى مجال التعليم العالى فى الجامعة والمعاهد العليا نظريا وتطبيقيا ، وقد كانت الجامعة والتعليم العالى بوجه عام محل اهتمام طه حسين الدائم ، ورعايته المتصلة ، وقد تعرض هو شخصيا للمساس بكرامته ، والتضحية بمنصبه ، حرصا منه على صيانة استقلال الجامعة ٠

ومن استعراض المقالات الصحفية التى نشرها طه حسين ، يتضح أن مقالاته عن الجامعة والتعليم العالى أكبر عددا من أى مجال آخر من مجالات التعليم ، اذ كتب فى هذا الصدد ما يزيد عن أربعين مقالة ، بخلاف الفصول التى تحدث فيها عن التعليم العالى فى مستقبل الثقافة ٠

وليس هذا الاهتمام غريبا ولا مستبعدا ، فهو أول خريج مصري تمنحه الجامعة المصرية فى بداية نشأتها درجة الدكتوراه عن اول رسالة يتم تحضيرها فيها بدون مشرف ، وهو أول عميد مصرى يتولى عمادة كلية الآداب سنة ١٩٢٨ ، وأول أستاذ جامعي يصطدم بالسياسيين حرصا على الجامعة ٠

فعلى المستوى النظرى قدم طه حسين كثيرا من التصورات لاصلاح التعليم العالى ، فى مقدمتها حديثه عن أهداف التعليم العالى ، وفى هذا الصدد يعرض ثلاث وجهات نظر بخصوص الغرض من التعليم العالى ، هى :

الأولى : وجهة نظر رجل الشارع ، وتتمثل فى أن التعليم العالى أرقى من التعليم الثانوى ، ويحقق هدفين هما : تثقيف العقل وتهذيبه ، والتأهيل لشغل المناصب العامة الممتازة ٠

الثانية : وجهة نظر بعض المثقفين ، وترى أن التعليم العـالى شىء مقدس يهدف الى البحث عن العلم لذات العلم ، العلم الخالص الطاهر المقدس الذى لا تعرض له ضرورات الحياة العلمية ، والمنافع الماديـة .

الثالثة : وجهـة نظر بعض المثقفين المعتدلين الذين يرون أن العلوم التجريبية ضرورية ، أما العلوم الاجتماعية والأدبية فلا تخلو من الترف والزينة ولكنهم لا ينكرونها .

وحين يستعرض طه حسين وجهات النظر هذه ، لا يوافق على الأخيرتين منها ، بل يهاجمهما ويسفه آراء أصحابهما ، وتتلخص وجهة نظره هو ــ التى تتشابه الى حد غير قليل مع وجهات نظر رجل الشارع كما يصرح بذلك ــ فى « أن التعليم العالى مزاج من الاثنين : فيه البحث العلمى فى الفنون التطبيقية ، وفيه البحث الخالص عن العلم الخالص ، فيه البحث المرتفع عن المنفعة ، وفيه البحث العملى الملتمس للمنفعة ، والناس ميسرون لهذا النحو من البحث أو ذاك حسب استعدادهم ومزاجهم وطموحهم وملكاتهم » (١٩٦) .

وتبدو من هذا النص واقعية طه حسين التى تتسم بها أعماله الأدبية ومعظم أفكاره التربوية ، والتى على أساس منها يعتبر التعليم فنا من الفنون التطبيقية (١٩٧) ، ومادامت كليـة الآداب وكليـة العلوم تهيئان المعلمين ، ومادام التعليم وسيلة من وسائل الحياة المادية ، وتهيئان الى جانب ذلك فريقا من الشباب للعمل فى المرافق الأخرى المختلفة ، اذن فاتهام هاتين الكليتين بأنهما معنيتان بالمعرفة الخالصة اتهام باطل .

---

(١٩٦) طه حسين ، مستقبل الثقافة فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣١٤ .
(١٩٧) المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

وبعد الحديث عن التعليم الجامعى من حيث طبيعته وهدفه العام ، ينتقل طه حسين الى الحديث عن ادارة هذا التعليم ، وفى هذا الصدد يقرر أن من مزايا هذ التعليم ترك الحرية الكاملة لمجالس الكليات ، ثم مجلس الجامعة الذى يمثل فيه بعض كبار موظفى الدولة ممن مارسوا التعليم الجامعى فعلا (١٩٨) .

ويشير طه حسين الى اعداد كوادر أعضاء هيئات التدريس من المتفوقين من الطلاب ، وفى هذا الصدد يقترح أن تشجع هذه الفئة على البحث وتيسر لها طرق الدرس ، وتخفف عنها أعباء الحياة ، « فتخصص لهم المكافآت الدراسية فى مصر ، وتنظم لهم البعثات العلمية للخارج ، وتحيطهم الجامعة والدولة بكل ما من شأنه أن يشعرهم بالكرامة ، ويزين فى قلوبهم حب العلم ، ويعصمهم من الناس ، ومن كل ما من شأنه أن يصدهم عن هذا المثل الأعلى الذى وقفوا حياتهم وجهودهم على السعى اليه وهو العلم » (١٩٩) .

ويتعرض طه حسين للحديث عن الأنشطة الطلابية ، ويرى أنها ضرورية ، فهى تمكن الطلاب من أن يعايش بعضهم بعضا ، ويصلح بعضهم من شأن بعض ، ومن أن يشتركوا فى الاستمتاع معا بلذات العلم والفن ، مرة بالاستماع الى المحاضرات ، وأخرى بالاستماع للموسيقى ، ومرة ثالثة بشهود التمثيل ، ثم بالاشتراك فى الألعاب الرياضية قبل كل شىء وبعد كل شىء (٢٠٠) .

وهو يضيف الى هذا الاقتراح الا يكتفى فى الاشراف على الأنشطة الطلابية باتحاد الطلاب ، بل يجب أن تزداد عناية الجامعة

---

(١٩٨) المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(١٩٩) المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٢٠٠) المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

بها مثل عنايتها بالتعليم ، لأن معظم الاتحاد من الطلاب ، وخبراتهم محدودة ، كما أن ميزانية الاتحاد محدودة أيضا ٠

أما المشكلة المهمة في مجال التعليم الجامعي والتي يوليها طه حسين اهتماما ملحوظا فهي مشكلة استقلال الجامعة ، وهو يقرر أن الاستقلال المقصود ذو شقين هما : الاستقلال المالى ، والاستقلال العلمى ٠

(أ) الاستقلال المـالى :

بحيث تستقل الجامعـة فى شئونها الماليـة ، ليس نظريـا فحسب ، بل عمليا فى حدود القوانين العامة بعد أن يقـر البرلمان ميزانيتها ، وهو يعترف أن ميزانية الجامعة يصدر بها قانون خاص، ولكن هذا من وجهة نظره شكلى وليس حقيقيا ، ويدلل على هذا بأن الجامعة التى يعترف لها القانون بهذا الاستقلال المالى لا تستطيع أن تشترى حتى أهون الأدوات ، ولا أن تعين كبار الموظفين ولا صغارهم قبل أن تأذن لها وزارة المالية ، « ووزارة المالية هنـا ليست هى الوزير ولا الوكيل ، وانما هى المكاتب التى يشرف عليها فى أكثر الأحيان موظفو لا يعرفون من أمر العلم والتعليم شيئا » (٢٠١) ٠

(ب) الاستقلال العلمى :

وهو يثير فى حديثه عن الاستقلال العلمى عدة قضايا حيوية ، أهمها تدخل الدولة فى شئون الجامعة ، وضرب مثلا على هذا التدخل بنفسه حـين طلبت منه حكومة اسماعيل صدقى منـح الدكتوراه الفخرية لبعض رجال السياسة فرفض ، فأقيل من منصبه ، ثم نقل الى وزارة المعارف مفتشا ، ثم أحيل الى المعاش ٠

---

(٢٠١) المرجع السابق ، صص ٣٣٣ـ٣٣٤ ٠

وكذلك تدخل الدولة عن طريق استباحة تغيير نتائج الامتحانات ، والغاء الأحكام التى تصدرها مجالس التأديب الجامعية « ولو أن سلطة الدولة اكتفت بتغيير بعض النظم التى تمس التعليم والامتحان لهان الأمر ، ولأمكن احتمال الشر ، ولكن سلطة الدولة تجاوزت هذا ، فألغت نتائج الامتحان الجامعى ، وأنجحت بالقانون من لم تر الجامعة لهم حقا فى النجاح ، ووضعت الدرجات الجامعية بالقانون لمن لم تر الجامعة لهم حقا فى الدرجات . ولو أن سلطة الدولة شملت بالعفو من عاقبتهم مجالس التأديب الجامعية فى ظروف سياسية بعينها لهان الأمر وأمكن احتمال الشر ، ولقيل ان للاضطرابات السياسية نتائجها التى لابد منها أحيانا والتى يجب أن تحتمل ، ولكن سلطة الدولة ألغت الأحكام التأديبية على بعض الطلاب الذين عبثوا بالامتحان وغشوا فيه ، وهذا هو الفساد الذى ليس بعده فساد » (٢٠٢) .

ويرى طه حسين أن الوزراء ورؤساء الوزارات لا ينبغى أن يكتفوا بالقاء بيانات أمام الرأى العام وأمام البرلمان ، يؤكدون فيها حرصهم على استقلال الجامعة ورعايتهم لهذا الاستقلال ، بل يجب أن يعرضوا عن التصريح ، ويؤكدوا هذا الاستقلال بالفعل .

وكما طالب طه حسين بأن يكون للأغنياء اسهامهم فى تمويل التعليم العام عن طريق التبرعات ، فهو كذلك يطالب بأن يقتدى الأغنياء فى مصر بأغنياء أوربا فى التبرع بجزء من أموالهم للجامعة ، ليتاح لها تطوير برامجها وتحسين مستواها (٢٠٣) .

ويسخر طه حسين — فى مجال استقلال الجامعة — من نظام الحرس الجامعى فهو فى رأيه « نظام مبتكر لا يعرفه بلد من بلاد

---

(٢٠٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٥

(٢٠٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

الأرض ، وهو توكيل الشرطة بالجامعات ومعاهـد العلم تحرسها ليلا ونهارا » (٢٠٤) .

وهو يرى أن الدولة لجأت لهذا مخافة منها أن ينتشر العلم ، وأن يختلط المثقفون بالجهلاء فيحـدث الاضطراب « لهذا » ولهذا وحده ضرب حول الجامعات ومعاهـد العلم بهذه الأسوار الكثاف الصفاق من قوة الشرطة والجند حماية من علم العلماء ، وحماية للعالمين من جهـل الجهلاء ، فمخالطة الجهـلاء خطر على المتعلمين ، ومخالطـة العلماء خطر على الجاهلين ، والدولـة الرشيدة الحازمة خليقة أن تفرق بين أولئـك وهؤلاء ، وألا تصـل بينهم الأسباب الا بمقدار » (٢٠٥) .

ولكن برجوع الكاتب الى أصول هذه المقالة وجد أنها نشرت لأول مرة تحت عنوان « صحائح الأنباء » بمجلة الهلال فى شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، ثم تضمنها كتاب « مرآة الضمير الحديث » الذى طبع بعد ذلك ، ويلاحظ أن طه حسين فى تلك الفترة من ١٩٤٤ ـ ١٩٥٠ كان خارج المنـاصب ، وكان مغضوبا عليـه من حكومة اسماعيل صدقى الذى عاد الى الحكم خلال تلك الفترة التى شهدت أكبر حركة تقلبات فى الوزارات وحفلت بالاغتيالات السياسية .

ويعرف أكثر من كاتب (٢٠٦) بأن الحملات الصحفية التى شنها طه حسين ضد الحكومة داعيا فيها الرأى العام الى المطالبة

---

(٢٠٤) طه حسين ، مراة الضمير الحديث ، الطبعة الثانية (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٣) ، ص ١٤٥ .

(٢٠٥) المرجع السابق ، صص : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢٠٦) على سبيل المثال : حسن الفقى ، التاريخ الثقافى للتعليم ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

بحقوقه فى التعليم فى تلك الفترة ، وهذا واضح من كثرة مقالاته عن التعليم وضرورة مجانيته ، هذه الخلفية تفسر سر هجوم طـه حسين على نظام حراسة الجامعة بالشرطة ، مع أن استعراض كتاباته بعد ذلك لا يشير الى تراجعه فى هذا الرأى •

هذا وقد أجرت مجلة روزا اليوسف تحقيقا صحفيا حول نظام حراسة الجامعة بالشرطة فى عددها الصادر فى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٣ وصدرت هذا التحقيق ببعض مقتطفات من المقال السابق الاشارة اليه ، ثم سألت عددا من أساتذة الجامعات فى ذلك الوقت (١٩٥٣) فأجابوا جميعا بضرورة وجود هذا الحرس » (٢٠٧) •

ومن هنا يتصور الكاتب أن طـه حسين فى رفضـه للحرس الجامعى كان يصدر عن اسرافه فى الحرص على استقلال الجامعة وبخاصة بعد ما لمسه من عنف قوات الشرطة فى قمع المظاهرات التى اندلعت عقب ابعاده عن الجامعة فى الثلاثينيات ، أما وجود الحرس كضرورة للضبط والأمان فلا يختلف عليه اثنان •

أما عن ازدياد طلاب الجامعات وازدحام الجامعات فقد اقترح طه حسين ألا تضغط الحكومة والبرلمان على الجامعة وتفرض عليها أن تقبل فوق ما تطيق (٢٠٨) مع قلة الأسـاتذة وضيق الأمكنة ، فيفسد التعليم والأخلاق معا •

والحل الذى وضعه طه حسين فى اقتراحـه هو التوسع فى انشـاء الجامعات عن طريق فتح فروع للجامعة الوحيدة فى ذلك الوقت ـ جامعـة القاهرة ـ على أن تستقل هذه الفـروع مستقبلا وتصبح جامعات مستقلة • وهناك حل آخر تضمنه اقتراحه أيضا

---

(٢٠٧) مجلة روزا اليوسف ، العدد الصادر فى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٣ •

(٢٠٨) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ •

ولكنه لم يكن يميل اليه ، وهو أن تترك للجامعة الحرية لكى تختار من الطلاب المتزاحمين عليها « أحقهم بالتعليم العالى وأحسنهم لـه استعدادا ، وأن ترد غير هؤلاء من الطلاب » (٢٠٩) ، كان هذا رأيه الذى تضمنه مستقبل الثقافة ٠

وفى سنة ١٩٥٤ سئل طه حسين في حديث صحفى عما اذا كانت ضخامة عدد طلاب الجامعة تعرقل أداء الجامعة لرسالتها ، فأجـاب :

« كثرة العدد تحول بين طلاب الجامعة وبين الانتفاع بما يلقى فيها من الدروس ، كما تحول بين الأساتذة وبين أداء واجبهم على نحو منتج، وعلاج هذا بتحديـد عدد الطـلاب تعقيم (من العقيم) للعقل المصرى ، وقتـل للمواهب قبـل أن تظهره وهو أشبه شيء باسقاط الأجنة قبل أن تولد ، وانما السبيل المستقيمة الى تحديد عدد الطلاب هى أن تنشأ الجامعات فى بعض الأقاليم ليخف الضغط على الجامعات القائمة ، ويتاح للعقل المصرى حظه الطبيعى من النمو والانتاج » (٢١٠) ٠

وهذه الاجابة توضح أن طه حسين كان يقف مع التوسع فى انشاء الجامعات الى أبعد مدى ، فهذا الكلام كتب سنة ١٩٥٤ وكانت فى مصر فى ذلك الوقت ثلاث جامعات متكاملة هى : جامعة القاهرة، وجامعـة عين شمس (التى أنشأهـا هو سنة ١٩٥٠ وهو وزير) وجامعة الاسكندريـة التى ساهـم فى انشائها سنة ١٩٤٢ وهو مستشار لوزير المعارف وانتدب مديرا لها) وكان أيضا قد « وضع نواة انشاء جامعة أسيوط بارسال بعثات تعد نواة هيئة التدريس

---

(٢٠٩) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ ٠

(٢١٠) مجلة روزا اليوسف ، العدد الصادر فى ١٥ فبراير ١٩٥٤ ، ص ٢٠ ٠

بها٠٠ومن هنا يطلق عليه «أبو مجانية التعليم وأبو الجامعات»(٢١١)، وهنا يحدد دوره الكبير فى التعليم الجامعى ٠

ويدخل فى مواقفه النظرية أيضا أنه دافع عن الجامعات سنة ١٩٥٥ حين ظهرت آراء تطالب بتعديل نظام الجامعات في مصر ، وادماج بعض الكليات المماثلة فى الدراسة ، لتصبح كلية واحدة داخل مدينة القاهرة ، كأن تدمج كلية الحقوق في جامعة عين شمس مع نظيرتها فى جامعة القاهرة ، وكذلك التجارة ولكن طـه حسين تصدى لهذه الآراء بالمعارضة وأعلن رأيـه على صفحات جريـدة الجمهورية ، وطلب من وزير التعليم التأنى فى تعديل نظام الجامعة ، واستشارة الخبراء قبل ادخال أى تنظيم ، وأبدى رأيه بمعارضـة الادماج (٢١٢) ٠

وقد طالب طه حسين فى « مستقبل الثقافة » بأن تضم دار العلوم ومعهد التربيـة الى الجامعة حتى تستقيم أمورهما ويضمن استقلالهما (٢١٣) ٠

ومن ناحيـة أخـرى طالب بأن تكون للجامعة حريـة انشاء الكراسى وفقا لحاجتها ، وأشار الى التعقيدات التى تضعها الدولة وبخاصة التعقيدات المالية أمام مطالبة الكلية بانشاء الكراسى المختلفة التى ترى ضرورتها (٢١٤) ٠

أما على المستوى التطبيقى فقد دفع طه حسين التعليم العالى دفعة كبيرة من خلال فترتى توليه السلطة التنفيذيـة ، ففي سنة

---

(٢١١) حسن الفقى ، التاريخ الثقافى للتعليم ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ ٠

(٢١٢) عبد المنعم الجميعى ، طه حسين والجامعة المصرية ، مرجع سابق ، صص ٦٨ ـ ٦٩ ٠

(٢١٣) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٣٠١ ٠

(٢١٤) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ ٠

١٩٤٢ بذل جهودا كبيرة من أجل انشاء جامعة الاسكندرية ، وكانت فى ذلك الوقت فرعا لجامعـة القاهرة منذ ١٩٣٨ يضـم الحقوق والآداب والهندسة • وقد أشار الزيات فى مذكراته بالتفصيل الى جهود طه حسين فى هذه النقطة على وجه الخصوص (٢١٥) والتى انتهت باصـدار قانون انشائها سنة ١٩٤٢ وأصبحت تضم سنة ١٩٤٤ وكان طه حسين مديرا لهـا بالانتداب وهو فى الوقت نفسه المستشار الفنى لوزير المعارف ، أصبحت تضم كليات : الآداب والحقوق والتجارة والعلوم والطب والهندسة والزراعـة ، وكانت الصيدلة ملحقة بالطب » (٢١٦) •

وفى سنة ١٩٤٦ أدمجت مدرسة دار العـلوم فى جامعـــة القاهرة ، وان كان طه حسين فى ذلك الوقت خارج الحكومة الا أن آراءه فى ضم دار العلوم الى الجامعة كانت ــ الى جانب آراء غيره من المفكرين ــ وراء هذا القرار •

وحين تولى طه حسين أمر وزارة المعـارف سنة ١٩٥٠ خطا خطوات واسعة بالتعليم العالى لعل من أهمها انشاء المجلس الأعلى للجامعات ، وتحسين أوضاع أعضاء هيئـات التدريس بالجامعات حيث تم ربط درجاتهم بدرجات رجال القضاء •

فقد صدر المرسوم الملكى فى ٢٦ يونية ١٩٥٠ بانشاء مجلس أعلى للجامعات بوزارة المعارف العمومية برياسة الوزير وعضويـة مديرى الجامعات ووكلاء الجامعات وعميد الكلية المختص عند النظر فى المســـائل المتعلقة بكليته ، ويختص المجلس بابداء الرأى فى تنسيق الدراسات والامتحانـات والدرجـات الجامعيـة ، وانشاء

---

(٢١٥) محمد حسن الزيات ، « ما بعد الايام » ، **مجلة المصور** (القاهرية) ٢٦ مارس ١٩٨٢ •

(٢١٦) حسن الفقى ، التاريخ الثقافى للتعليم ، **مرجع سابق** ، ص ٢٠٦ •

الكراسى ومعادلات الشهادات الأجنبية والترقيات العلميـة لأعضاء هيئة التدريس الى وظيفة أستاذ أو التعيين فى هذه الوظيفة ونقل الأساتذة من جامعة الى أخرى ، وابداء الرأى فى كل ما يطلبه مجلس احدى الجامعات ٠

ومن استقراء نظام هذا المجلس الذى ينشأ لأول مرة يتضح أثر فكر طه حسين من خلال نصوص مواد المرسوم حيث يتأكد حرص المشرع على كفالـة الاســتقلال واحترام رأى مجـالس الكليــات أو الجامعات ٠

وعلى سبيل المثال تنص المادة الرابعة من المرسوم على أنه :

« اذا خـالف المجلس الأعلى للجامعـات رأى مجلس احـدى الجامعات فى مسألة أعادهـا الى مجلس الجامعة المختص مشفوعة بملاحظاته ، ويعرض ما يقرره مجلس الجامعة فى هذا الشأن على وزير المعارف » (٢١٧) ٠

وهذه المادة كما هو واضح تعطى مجلس الجامعة الذى يختلف مع المجلس الأعلى للجامعات حق تقرير الوضـع النهائى للنقطـة موضع الخلاف ، وعدم الرجوع للمجلس الأعلى بعد ذلك ، بل للوزير بصفته ، وهذا يعنى عدم اعطاء المجلس سلطة الوصاية على مجالس الجامعات مما تعكسه آراء طه حسين فى منح الحرية لمجالس الجامعات ومجالس الكليات لتقدير الأمور حسب ظروفها ٠

ويعطى الاستقراء التالى التشريعات التى صدرت فى عهد طه حسين صورة واضحة عن جهوده فى هذا المجال :

---

(٢١٧) وزارة العدل ، مجموعة القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لعام ١٩٥٠ (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٥٣) ، ص ٣٠٢ ٠

★ قرار وزارى رقم ٨٩٤١ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس للمعهد العالى للخدمة الاجتماعية للبنات ٠

★ قرار وزارى رقم ٩٠١١ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس لمدرسة الفنون التطبيقية العليا ٠

★ قرار وزارى رقم ٩٠١٢ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس لمعهد التربية العالى للمعلمات بالزمالك ٠

★ قرار وزارى رقم ٩٠١٣ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس لمعهد التربية العالى للمعلمين بالاسكندرية ٠

★ قرار وزارى رقم ٩٠١٥ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس للمعهد العالى للمعلمين ٠

★ قرار وزارى رقم ٩٠١٦ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس للمعهد العالى للهندسة بالعباسية ٠

★ مرسوم ملكى فى ٥ يناير ١٩٥٠ بوضع اللائحة الداخلية لكلية دار العلوم ٠

★ أمر ملكى رقم ٢ لسنة ١٩٥٠ بربط ميزانية معهد فؤاد الأول للصحراء بمبلغ ٢٢٦٠٠ر٢٢ جنيه عن سنة ١٩٥٠ ٠

★ مرسوم ملكى فى ٢٦ يونية ١٩٥٠ بتعديل نظام منشاة مدينة فاروق الأول الجامعية ٠

★ قانون رقم ٧٩ لسنة ١٩٥٠ بوضع اللائحة الأساسية لكلية التجارة فى جامعة فاروق الأول (الاسكندرية) ٠

★ مرسوم ملكى فى ٢٦ يونيو بانشاء كرسى للكيمياء التحليلية بكلية طب القصر العينى ٠

★ ومرسوم ملكى بنفس التاريخ لانشاء كرسى للتاريخ الحديث ، وكرسى للغات السامية بكلية الآداب ٠

★ مرسوم ملكى بتاريخ ٣ يوليو ١٩٥٠ بانشاء كرسى لهندسة تكرير البترول بكلية الهندسة ٠

★ مرسوم ملكى بتاريخ ١٧ أغسطس ١٩٥٠ بانشاء كرسى لأدب اللغة العربية فى الأندلس بكلية الآداب ٠

★ ومرسوم آخر فى نفس التاريخ بانشاء كرسى للتأمين ، وكرسى للاحصاء التطبيقى بكلية التجارة ٠

★ مرسوم ملكى فى ٢٨ أغسطس ١٩٥٠ بانشاء كرسى للآثـار المصرية وكرسى للفن الصحفى بكلية الآداب ٠

★ مرسوم ملكى فى ٣ سبتمبر ١٩٥٠ بانشاء كرسى للجغرافيـا والأنثروبولوجيا وكرسى لتاريـخ البســودان وآثاره بمعهد الدراسات السودانية ٠

★ مرسوم ملكى فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٠ بانشاء :

- كرسى للاحصـاء الريـاضى
- كرسى للحيـوان التجريـبى
- كرسى للأرصــاد الجويـة

بكلية العلوم

- كرسى لفسيولوجيا الحيوان بكلية الزراعـة
- كرسى ثان لعلم النحو والصرف والعروض
- كرسى لفقه اللغة

بكلية دار العلوم

- كرسى للفلك
- كرسى للطبيعة الفلكية
- كرسى للطبيعة الأرضية
- كرسى للطبيعة الجويـة

بمعهد الأرصاد

- كرسى للأحياء البحرية
- كرسى لاحيـاء الميـاه العذبة
- كرسى الأوقيانوغرافية الطبيعية
- كرسى لفسيولوجيا الأحياء المائية

(الكراسى الثلاثة الأخيرة: بالمعهد الملكى لعلوم البحار)

★ قانون ٩٣ لسنة ١٩٥٠ بانشاء وتنظيم جامعة ابراهيم باشا الكبير (عين شمس) .

★ قانون ١١١ لسنة ١٩٥٠ بانشاء اللائحة الأساسية للمعهـد الملكى لعلوم البحار بجامعة فؤاد الأول ، ويقوم هذا المعهـد باعداد المتخصصين فى علوم الأحيـاء البحرية وأحياء الميـاه العذبة والأوقيانوغرافية الطبيعية وفسيولوجيا الأحياء المائية وما يتصل بذلك .

★ قانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٥٠ باصـدار اللائحـة الأساسية للمعهد الملكى للأرصاد بجامعة فؤاد الأول ، وهو يقوم باعداد المتخصصين فى علوم الفلك والطبيعـة الفلكيـة والطبيعـة الأرضية والأرصاد الجوية .

❋ قانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٥٠ بانشاء واصدار اللائحة الأساسية لمعهد الدراسات السودانية بجامعة فؤاد الأول وهو يقـوم باعداد المتخصصين فى الشئون السودانية وتشجيع الدراسة العلمية الخاصة بالسودان .

❋ قانون ١٢١ لسنة ١٩٥٠ بربط درجات أعضاء هيئة التدريس بكليات الجامعات المصرية بدرجات رجال القضاء والنيابة .

❋ مرسوم ملكى فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٠ بتنظيم قبول الطلاب غير المصريين بالجامعات والمعاهد العليا .

❋ قانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٥١ بانشاء كلية طب طنطا تتبع جامعة فؤاد الأول (القاهرة) .

* قانون ١١٢ لسنة ١٩٥١ بتعديل جامعة فؤاد الأول .
* قانون ١١٣ لسنة ١٩٥١ بتعديل تنظيم جامعة فاروق الأول .
* قانون ١١٤ لسنة ١٩٥١ بتعديل تنظيم جامعة ابراهيم باشا .
* مرسوم فى ١٥ أغسطس ١٩٥١ بانشاء :
  - كرسى للأقرباذين بكلية الطب البيطرى جامعة فؤاد .
  - كرسى لطبيعة الأراضى بكلية الزراعة جامعة فؤاد .
  - كرسى للقانون الدولى بمعهد العلوم السياسية بجامعة فؤاد .
  - كرسى للعلاقات السياسية الدولية بمعهد العلوم السياسية السابق .
* قانون ٢١٦ لسنة ١٩٥١ بوضع لائحة أساسية لكلية الهندسة فى جامعة فؤاد .
* قانون رقم ١ لسنة ١٩٥١ بانشاء معهد « الوثائق والمكتبات » وتنظيمه .
* قانون ٤٣ لسنة ١٩٥١ بانشاء معهد « العلوم السياسية » فى جامعة فؤاد لتنظيم دراسات عليا فى الشئون السياسية والدبلوماسية ، واعداد مرشحين لوظائف السلكين السياسى والقنصلى ، وتنظيم القبول به والدبلومات التى يمنحها .
* مرسوم ١٩ مارس ١٩٥١ بانشاء :
  - كرسى للغات واللهجات السودانية بمعهد الدراسات السودانية .
  - كرسى للتاريخ الحديث .
  - كرسى لوثائق القرون الوسطى .
  - كرسى لفن المكتبات . | بمعهد الوثائق والمكتبات

مما سبق عرضه يبدو بشكل بارز أن انجازات طه حسين فى مجال التعليم العالى تفوق انجازاته فى أى مجال تعليمى آخر ، وفى الوقت نفسه أسهمت فى تطوير وتنظيم هذا التعليم ، وربما كانت أظهر وأكبر من حيث الكم والكيف من انجازات غيره من رجال التعليم ، ويمكن تلخيص ذلك فى النقاط الآتية :

* تأثرت نظرة طه حسين الى أهداف التعليم العالى بما كان سائدا فى عصره من اتجاهات نحو هذا النوع من التعليم .
* اهتم طـه حسين باعداد الكوادر التى ستعمل بالتدريس فى الجامعات وطالب بضرورة رعايتها وتيسير ظروفها المالية والاجتماعية .
* بلغ طه حسين فى دفاعه عن استقلال الجامعات مدى وصل الى حد فصله من وظيفته كعميد لكلية الآداب ، ووصل الى حد مطالبته بالغاء نظام حراسة الجامعات بواسطة الشرطة ، واشتد كثيرا فى مطالبته بأن تكون حرية الجامعات الادارية والمالية حرية فعلية وليست كلمات وشعارات .
* ساهم بدور كبير فى انشاء جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٢ وعمل مديرا لها لمدة عامين قام فيهما بدور كبير فى تنظيمها .
* خلال توليه الوزارة خطا عدة خطوات بالتعليم العالى من أهمها :

(أ)انشاء المجلس الأعلى للجامعات برياسة الوزير ومنح هذا المجلس سلطات محددة ، ولكنها فى النهاية لا تقيد سلطات مجالس الجامعات تقييدا سلطويا ممقوتا ، وانما يقوم الوزير بدراسة الخلاف الذى قد يثور بين المجلس الأعلى ومجلس احدى الجامعات .

(ب) ربط الكادر المالى لأعضاء هيئات التدريس بكادر القضاة ورجال النيابة ·

(جـ) انشاء جامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ ·

(د) انشاء عدد كبير من المعاهد المتخصصة والكراسى المختلفة بالكليـــات ·

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]

الفصل الثامن

(فى اعــداد المعلم)

أولا : معلم المرحلة الأولى

ثانيا : معلم التعليم الثانوى

لا خلاف بين المهتمين بشئون التربية والتعليم على أهمية دور المعلم فى العملية التعليمية ، هذه الأهمية التى تستند الى طبيعة عملية التعلم كعملية انسانية تلقى على عاتق المعلم بالعبء الأكبر فى توصيل المعلومات ٠

وهذا الفصل يحاول القاء الضوء على آراء طه حسين فى كيفية اعداد المعلم وكان هذا الاعداد ـ كما يتضح من كتاباته ـ من ناحية ، ومن ناحية أخرى القاء الضوء على الاسهامات التى قدمها عمليا حين تولى المناصب التنفيذية التى سمحت له بوضع أفكاره موضع التطبيق ٠

ويستحسن فى البداية ابراز وجهة نظر طه حسين فى أهمية المعلم ، فعلى حد قوله : « ان المنهاج المكتوب والبرنامج المرسوم ليسا هما الغاية التى نقصد اليها أو نكتفى بها ، وانما الغاية هى تكوين الصبى الصالح للنمو ، القادر على أن يكون شابا نافعا لنفسه وأمته ٠٠ والسبيل الوحيد الى ذلك هو المعلم الصالح لفهم المنهاج والبرنامج وتنفيذهما على أحسن وجه وأكمله » (٢١٨) ٠

واذا كان طه حسين يولى هذه الأهمية للمعلم ، فان نظرة تفصيلية فى آرائه فى هذا الصدد تصبح ضرورية للوقوف على مسببات وجهة النظر هذه ٠

---

(٢١٨) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٨٤ ٠

أولا : معلم المرحلة الأولى :

المعلم الأولى مثار اشفاق طه حسين ـ كما يتضح دائما من كتاباته ـ نظرا للحالة السيئة التى يعانى منها ذلك المعلم ، شأنه فى ذلك شأن التعليم الأولى نفسه الذى كان يعانى من القصـــور والاهمـــال .

ويدعو طه حسين الى أن تهتم الدولة بهذا النوع من التعليم لأنه ضرورى لكل أفراد الشعب ليعيشوا عيشة كريمة « واذا أرادت الدولة أن تعنى بالتعليم الأولى ، فلابد لها من العناية بالمعلم الأولى ، وكل تعليم مهما يكن نوعه وطبقته لا يستقيم أمره الا اذا نهض به المعلم الكفء ، ولكن الكفاية فى المعلم الأولى لها خطر آخر ليس لكفاية غيره من المعلمين » (٢١٩) ، وهو يعتبر المعلم الأولى ذا خطر من حيث انه أمين على أبناء الشعب ، **ومن هنا تأتى مسئوليته وهى** ذات وجهين :

١ ـ **الوجه الأول** : مسئولية المعلم الأولى أمام الشعب ، وتأتى من أن الشعب ينتظر أن يخرج الأبناء من المدارس مهيئين لأن يكونوا أعضاء صالحين مصلحين ، قد نمت أجسامهم وعقولهم ، وصفت قلوبهم ، واستقامت أخلاقهم ، فاذا رد الأبناء على غير هذه الحال كان من حق الآباء أن يسألوا المعلم عن هذا كله .

٢ ـ **الوجه الثانى** : مسئولية المعلم الأولى أمام الدولة ، وتأتى من أن الدولة حين تعهد اليه بأبناء الشعب تنتظر أن يخرج هؤلاء الأبناء قادرين على احتمال الأمانة الوطنية التى يتلقونها من التعليم الأولى ، والتى تعدهم لحماية الوطن واقرار الأمن والعدل فيه ، فاذا رد المعلم هؤلاء الأبناء عاجزين « فاترى الهمة » ، ضعيفى القلوب ، كانت الدولة خليقة بمحاسبة ذلك المعلم .

(٢١٩) **المرجع السابق** ، ص ٨٤ .

ويستنتج طه حسين من هذا التحليل لأمانة المعلم الأولى على أبنـاء الشعب وما تستتبع تلك الأمانة من المسئولية أمام الدولة والشعب ، يستنتج من هذا أن من حق ذلك المعلم على الدولة وعلى الشعب معا أن يجد عندهما العون على تحمل تلك الأمانة ٠

والعون الذى يقترحه طه حسين ذو ثلاثة أبعاد ، لكل منها أهميته الكبرى ويمكن بيانها على النحو التالى :

أولا : البعد الأول :

ويتصل هذا البعد باعداد معلم التعليم الأولى ، وينبع أساسا من مسئولية الدولة عن هذا الاعداد من حيث انها هى التى تنشىء المدارس والمعاهد التى تخرج المعلمين الذين ينهضون بأمانة التعليم الأولى « فلابد من أن تكون مدارس المعلمين صالحة كأحسن ما يكون الصلاح فى حياتها المادية وفى حياتها المعنوية ، بحيث لا يعيش الطلاب فيها عيشة ابتذال وهوان ، ولا يشعرون فيها بأنهم عيال على الدولة ، وبأنهم طبقة منحطة متواضعة من طبقات الشعب » (٢٢٠) ٠ المعلم الأولى مسئول عن بث العزة والكرامة فى نفوس الأطفال ، فيجب ـ فى مرحلة اعداده ـ أن ينشأ عزيزا وكريما ، وكما يقول طه حسين : « فان الشعب الذى يريد أن ينشىء جيلا صالحا خليق قبل كل شىء بأن يفكر فى المعلمين الذين ينشـئون لـه هذا الجيل » (٢٢١) ٠

ثانيا : البعد الثانى :

وهو يتصل بالتعليم فى مدارس المعلمين الأولية من حيث المناهج وطرق التدريس ، وفى هذا الصدد ينعى طه حسين على تلك المدارس ضعف مستوى التعليم بها ، ويفسر ذلك من واقع نظرة

---

(٢٢٠) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٨٦ ٠

(٢٢١) المرجع السابق ، ص ٨٧ ٠

المجتمع الى التعليم الأولى فى ذلك الحين على أنه لا يهدف لأكثر من محو الأمية ، ولهذا يجىء تدريس التاريخ القومى ، والجغرافيا القومية ، واللغة القومية ، والدين القومى تدريسا ضعيفا ، والاكتفاء من التعليم الأولى بالقراءة والكتابة له خطر يشير اليه طه حسين ، ويعطيه بعدا سياسيا اجتماعيا ، فالطفل الذى تنقطع به السبيل مكتفيا بتعلم القراءة والكتابة أمام موقفين : اما أن يتجه الى الحياة العملية فينسى القراءة والكتابة ، واما أن يستبقى قدرته على القراءة فيقرأ كل ما يقابله دون تمييز ، فيتشكل عقله وفقا لتلك القراءات المضطربة ، فيصبح خطرا على نفسه وعلى أمته .

من هنا يجب – من وجهة نظر طه حسين – التركيز على الاعداد العميق للمعلم الأولى ، وهو يطمح الى أن يتخرج ذلك المعلم فى الجامعة بشرط « أن يضاف الى تعليمه الجامعى أصول التربية التى تتصل بحياة الطفل وتنشيئه حتى يكون أقرب النفع » (٢٢٢) .

ومع ذلك فانه لا يجعل ذلك شرطا أساسيا ، وانما يقترح اقتراحا واقعيا ، وهو أن تكون الشهادة الثانوية شرطا أساسيا للالتحاق بمدارس المعلمين الأولية حيث يقضى فيها الطالب عامين أو ثلاثة أعوام (٢٢٣) .

ثالثا : البعد الثالث :

ويرتبط بالوضع الاجتماعى والاقتصادى للمعلم الأولى ، فواقع ذلك المعلم أليم من حيث انخفاض الأجر الذى يناله ، وازدراء المجتمع الذى يلمسه ، وانحطاط المكانة ، وانحدار القيمة الذى يعانى منه ، فقبل أن نطلب من هذا المعلم المنكسر النفس ، السيىء الحال ، أن

---

(٢٢٢) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢٢٣) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

يعلم أبناءنا العزة والكرامة والحرية والاستقلال ، يجب قبل ذلك أن نشعره بالعزة والكرامة والحرية والاستقلال (٢٢٤) .

ثانيا : معلم التعليم الثانوى :

يثير حديث طه حسين عن معلم التعليم الثانوى كثيرا من المشكلات من أهمها ما يتصل بمشكلات المعلم نفسه ، ومنها ما يتصل بنظام اعداد المعلم ، ومنها ما يتصل بفكر طه حسين نفسه ومدى الخلاف الذى كان بينه وبين القبانى ومن وراء القبانى وزارة المعارف .

أما فيما يتصل بمشكلات المعلم فيتمثل فى :

١ ـ ازدحام الفصول ، وهذا الازدحام يحول بين المعلم وبين قيامه بواجبه من حيث العناية بالأطفال فردا فردا .

٢ ـ الوضع الاجتماعى والاقتصادى للمعلم والذى يؤثر تأثيرا سلبيا فى كفايته .

٣ ـ نظام التفتيش الذى يأتى بآثار سلبية ترجع الى كبرياء المفتشين وغرورهم الذى يستند الى أنهم ـ خلال قيامهم بواجبهم ـ يشعرون بأنهم يمثلون سلطان الوزارة ، مما يدفع المعلمين الى الخوف منهم وتكلف الطاعة والمجاملة .

أما ما يتصل بنظام اعداد المعلم ، فقد عرفت مصر فى تلك الفترة نظامى الاعداد المعروفين : التكاملى والتتابعى ، أما النظام التتابعى فيقوم على أساس حصول الطالب على درجة الليسانس فى الآداب أو البكالوريوس فى العلوم ، ثم يتابع الاعداد المهنى فى كليات التربية (معهد التربية) لمدة عام يدون فيه المواد التربوية ، أما النظام التكاملى فيقوم على أساس تكامل الاعداد المهنى والأكاديمى فى مدرسة المعلمين العليا لمدة أربع سنوات ، أو فى دار العلوم ،

(٢٢٤) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

وكانت المشكلة تتمثل فى أن كلا من وزارة المعارف والجامعة تزعم أنها صاحبة الحق فى اعداد معلم التعليم الثانوى ، ولما كان معهد التربية الذى أنشىء ١٩٢٩ تابعا لوزارة المعارف ، وكذلك مدرسة المعلمين ودار العلوم ، فقد كان رجال الوزارة وعلى رأسهم اسماعيل القبانى يحاربون من أجل أن تظل الوزارة مهيمنة على اعداد معلم التعليم الثانوى .

أما طه حسين وأنصاره فقد كانوا يرون أن تضم مدرسة المعلمين الى الجامعة وتصبح للجامعة أحقية تخريج المعلمين ، ومن هنا اقترح طه حسين :

١ - أن يضم معهد التربية الى الجامعة المصرية على أن يكون وحدة من وحداتها المستقلة ، شأنه فى الاستقلال شأن كلياتها السبع .

٢ - أن يكون للمعهد مجلس يتألف من أساتذته وأساتذته المساعدين ، وتمثل فيه وزارة المعارف تمثيلا قويا كما تمثل فيه كلية الآداب وكلية العلوم اللتان تمدانه بالطلاب .

٣ - يعين وزير المعارف لهذا المعهد ناظرا لمدة خمس سنوات يجوز أن تتجدد ويعين له وكيلا على أن يكونا جامعيين وأن يكون أحدهما عمليا والآخر أدبيا (٢٢٥) .

وهذا الاقتراح جزء من تقرير رفعه طه حسين الى بهى الدين باشا بركات وزير المعارف ، الا أن ظروف السياسة أخرجت بهى الدين بركات من الوزارة قبل أن يؤخذ بهذا التقرير .

أما رأى طه حسين الذى يحبذه فيتمثل فى أن يختار الطلاب للمعهد من كليتى العلوم والآداب ، بعد أن ينفقوا فيهما سنتين ، ويكون اختيارهم بمسابقة يلتحقون بعدها بالمعهد لدراسة التربية وفنونها ، على أن تكون قليلة ، ولكن متقنة ، ويكلفون أثناء ذلك

---

(٢٢٥) المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

بالاختـــلاف الى دروس الجامعـــة حتى يظفروا باالليســـانس أو البكالوريوس ، ويجوز بعد ذلك أن يكلفوا التعليم فى المدارس على سبيل التمرين (٢٢٦) .

ويرى طه حسين عدم الاكتفاء بالدرجة الجامعية الأولى للتدريس فى المرحلة الثـــانوية ، ويقترح أن يكون الماجســـتير شرطـــا لذلك (٢٢٧) .

ويفسر مصطفى درويش الصراع بين طه حسين وبين كبار موظفى وزارة المعارف (وعلى رأســـهم القبانى) على أنه صراع شخصى وليس صراعا عقائديا ، مستندا فى هذا التفسير الى أقدمية التصادم بين طه حسين وبين وزارة المعارف ، ذلك التصادم الذى بدأ منذ تولى عمادة كلية الآداب سنة ١٩٢٩ ، ويشير درويش بصفة خاصة الى فترة تولى حلمى عيسى وزارة المعارف من (١٩٣١ : ١٩٣٤) حيث « أسفر ذلك التصادم عن رفض كل الجهود المبذولة لضم معهد التربية الى الجامعة ورفض المعهد قبول خريجى قسم اللغة العربية بكلية الآداب لأن هذا القسم يرأسه طه حسين » (٢٢٩) .

والواقع أن طه حسين واسماعيل القبانى كانا متفقين – الى حد كبير – فى الكثير من المبادىء العامة « وكانا يؤمنان بالفلسفة الديمقراطية فى التعليم بضرورة نشره بين جميع أبناء الوطن ..

---

(٢٢٦) المرجع السابق ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢٢٧) المرجع السابق ، صص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

Mostafa Darwish "*A Composative Study of some Problems in Teacher Education in the United Arab Republic and the United States of America*".

(٢٢٨) فى : شوقى عبد السلام ضيف ، فكر اسماعيل القبانى التربوى ، مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

الا أنهما كانا يختلفان فى الأسلوب الذى يتبع فى تطبيق هذه المبادىء لاصـــلاح التعليم فى مصر » (٢٢٩) ، ولكن الصحافة بوجه عام والصحافة الحزبية بوجه خاص هى التى أعطت هذه الخلافات طابع الصراع ٠

أما على المستوى التطبيقى فقد عكست التشريعات الصادرة من الوزارة فى عهد طه حسين فلسفته التربوية الواضحة فى مجال اعداد المعلم ، فقد ضمت مدرسة المعلمين العليا التى أنشئت عام ١٩٤٦ لاعداد المعلمين للمدارس الثانوية فى الرياضيات والعلوم واللغات الانجليزية والفرنسية الى جامعة عين شمس عام ١٩٥٠ م وأصبحت نواة لكلية العلوم بها ، كما ضم فى عام ١٩٥٠ معهد التربية بالقاهرة الى جامعة عين شمس ، واســـتمر معهد التربية للمعلمات يقوم باعداد معلمات مدارس البنات ، وكان معهد التربية البدنية للمعلمين بالقاهرة ، ومعهد التربية البدنية للمعلمات يقومان باعداد معلمى ومعلمات التربية البدنية (٢٣٠) ٠

كما أنشئت فى عام ١٩٥١ مدرسة ثانية للمعلمين للمرحلة الأولى فى « بى العرب » بمحافظة المنوفية ، وكانت أول مدرسة للمعلمين الريفية قد أنشئت عام ١٩٤٧ ٠

ومن أهم انجازات طه حسين فى مجال اعداد المعلم توحيد نظام القبـــول فى مدارس المعلمين والمعلمات عام ١٩٥٢/١٩٥١ ،

---

(٢٢٩) سامح كريم ، طه حسين فى معاركه الأدبية والفكرية ، **مرجع سابق** ، ص ٢٧٧ ٠

(٢٣٠) حسن الفقى ، التاريخ الثقافى للتعليم ، **مرجع سابق** ، ص ٢٠٥ ٠

وأصبحت مدة الدراسة بها أربع سنوات ، ويقبل بها من أتموا المدرسة الابتدائية (٢٣١) ·

ولعل التشريعات الآتية تلقى ضوءا على انجازات طه حسين فى هذا المضمار :

* قرار وزارى رقم ٩٣٨٦ لسنة ١٩٥٠ بانشـــاء مراقبة عامة لمدارس المعلمين والمعلمات ·
* قرار وزارى رقم ٩٨٩٧ لسنة ١٩٥١ بانشاء دراسات تكميلية مسائية لمدارس المعلمين الأولية ·
* قرار وزارى رقم ٩٤٨٠ لسنة ١٩٥٠ بتقسيم مدارس المعلمين والمعلمات الأولية ·
* قرار وزارى رقم ٩٠١٢ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس لمعهد التربية العالى للمعلمات بالزمالك ·
* قرار وزارى رقم ٩٠١٣ لسنة ١٩٥٠ بانشـــاء مجلس لمعهد التربية العالى للمعلمين بالقاهرة ·
* قرار وزارى رقم ٩٠١٤ لسنة ١٩٥٠ بانشـــاء مجلس لمعهد التربية العالى للمعلمين بالاسكندرية ·
* قرار وزارى رقم ٩٠١٥ لسنة ١٩٥٠ بانشاء مجلس للمعهد العالى للمعلمين ·
* قرار وزارى رقم ٩٢٢٧ لسنة ١٩٥٠ باعفاء أبناء رجـــال التعليم من المصروفات المدرسية ورسوم الامتحانات ·
* مرسوم ملكى فى ١٥ أبريـل ١٩٥٠ باعفاء أبناء رجـــال التعليم الحاليين والسابقين من رســوم القيد والامتحـــان

---

(٢٣١) المرجع السابق ، صص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ·

بجامعتى فؤاد الأول (القاهرة) وفاروق الأول (الاسكندرية) والمدارس والمعاهد على اختلاف طبقاتهـــا التابعـة للحكومة والخاضعة لها .

وقد أرجأ الكاتب الحديث عن أهم نقطة فيما يتعلق بالمعلمين وهى تلك الخطوة المهمة التى خطاها طه حسين بانشاء نقابة المهن التعليمية بمقتضى القانون رقم ٢١٩ لســـنة ١٩٥١ ، وقد نصت المادة الأولى من القانون على أن أغراض النقابة هى (٢٣٢) :

١ ـ العمل على رفع مستوى المهن التعليمية ونشر الثقافة .

٢ ـ رعاية مصالح أعضائها المادية والأدبية .

٣ ـ ابداء الرأى فيما يستشيرها فيه وزير المعـــارف العمومية فيما يتعلق بشئون المعلمين .

وهذه المادة على ما هو ظاهر من نصوصها تعكس ما نادى به طه حسين من ضرورة رفعة شأن المعلمين والعناية بشئونهم وكفالة حقوقهم ، كما سلفت الاشارة فى أول هذا الفصل .

وتحدد المادة ٥٨ من القانون أصول العضوية فى النقابة على النحو التالى :

« لا يجوز لأحد أن يزاول مهنة التعليم فى المعاهد الحكومية أو الحرة الا اذا كان اسمه مقيدا بالنقـــابة مع مراعاة أحـــكام المادة (٣) من هذا القانون .

والمادة (٣) تحدد شروط العضوية بأن تكون على ثلاث فئات: فئة (أ) : ذوو المؤهلات الفنية العالية فى التربية والتعليم ، وذوو

---

(٢٣٢) وزارة العدل ، **مجموعة القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لعـام ١٩٥١** (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٥٢) ص ١٠٥٨ .

المؤهلات الجامعية ومن فى مستواهم المشتغلون بالتعليم أو سبق اشتغالهم به ٠

فئة (ب) : أولا : ذوو المؤهلات الفنية المتوسطة فى التربية والتعليم ٠

ثانيا : ذوو المؤهلات المتوسطة ومن فى مستواهم ومضى على اشتغالهم بالتعليم خمس سنوات على الأقل ٠

فئة (جـ) : وهم المشتغلون بالتعليم من غير هاتين الفئتين ومضى على اشتغالهم بالتعليم عشر سنوات على الأقل (٢٣٣)٠

غير أن الملاحظ أن الظروف التى أعقبت صدور هذا القانون لم تسمح بقيام النقابة قياما فعليا الا بعد قيام الثورة ٠

وبصفة عامة يمكن القول بأن طه حسين أولى عملية اعداد المعلم اهتماما كبيرا بقدر ما أولى المعلمين أنفسهم من اهتمام ، ويبدو أنه فى معظم كتاباته يركز على نقطتين مهمتين :

احداهما : ضرورة ضمان حد راق من الاعداد للمعلمين لمختلف المراحل التعليمية ٠

الثانية : ضرورة تحسين أوضاع المعلمين الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الأمان لهم ٠

ومن خلال انجازاته التى سبق عرضها فى هذا الفصل يتبين أنه خطا خطوات لا بأس بها فى هذا الصدد ، ولكن يؤخذ عليه ـ فى تصور الكاتب ـ أنه حين توسع فى منح المجانية اضطر الى تعيين معلمين دون المستوى الذى كان ينادى به ٠ وعلى الرغم من

---

(٢٣٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥٩ ٠

أن هناك ردا وجيها يمكن مقابلة هذا النقد به ، وهو أن طه حسين لم يكن يعير الاعـداد الفنى للمعلم ما يعيره للاعـداد الثقافى من اهتمام ، الا أن القضية تبقى أن طه حسين لم يدقق فى تنفيذ آرائه فى هذا الصدد .

مراجع الكتـاب

أولا : التقارير والوثائق الرسمية :

١ ـ أحمد نجيب الهلالى :

تقرير عن اصلاح التعليم فى مصر

القاهرة • المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٤٣ •

٢ ـ

التعليم الثانوى • عيوبه ووسائل اصلاحه •

المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٥ •

٣ ـ وزارة العدل :

مجموعة القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لعام ١٩٥٠

المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٥٣ •

٤ ـ وزارة العدل :

مجموعة القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لعام ١٩٥١ ، ١٩٥٤ م •

٥ ـ وزارة المعارف العمومية :

تقرير عن التعليم الأولى وتعليم الكبار ومحـو الأميـة •

ديسمبر ١٩٥٠ •

٦ ـ ـــــــــــــــ

تقرير عن تطور التعليم فى العام الدراسى ١٩٥٠/١٩٥١ ـ المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٥٢ ٠

٧ ـ المركز القومى للبحوث التربوية :

وزراء التعليم فى مصر وأبرز انجازاتهم ٠

ثانيا : رسائل جامعية :

١ ـ أحمد عزت عثمان صالح :

« أثر الفكر الديموقراطى على تعليم المرحلة الأولى فى مصر فى الفترة من ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢ »

رسالة ماجستير قدمت الى كلية التربية بأسيوط ، ١٩٧٧ ٠

٢ ـ حسان محمد حسان :

« اتجاهات الفكر التربوى فى مصر فى الفتـــرة مـــن ١٩٢٣ ـ ١٩٥٧ » ٠

رسالة ماجستير قدمت الى كلية التربية ـ جامعـــة عين شمس ، ١٩٧١ ٠

٣ ـ سها شوكت الخيال :

« الفن القصصى عند طه حسين »

رسالة ماجستير قدمت الى كلية الآداب ـ عين شمس ، ١٩٨١

٤ ـ شوقى عبد السلام جاد ضيف :

« فكر اسماعيل محمود القبـانى التربوى وأثره على تطور التعليم فى مصر » ٠

ماجستير قدمت الى كلية التربية ـ جامعة أسيوط ،
١٩٧٧ ٠

ثالثا : أعمال مؤتمرات :

١ ـ عبد الخالق محمود عبد الخالق :
« شخصية رجل الدين من أدب د٠ طه حسين »
بحث قدم الى المؤتمر الثامن فى ذكرى د٠ طه حسين
كلية الآداب ـ المنيا ـ ١٩٨٢ ٠

٢ ـ محمد عويس محمد :
« الرؤية الجديدة للثقافـة اليونانيـة عند المفكرين العرب فى مصر » ٠
بحث قدم الى الندوة العلمية الأولى للثقافة العربية ـ اليونانية ٠ جامعة سالونيكا ـ اليونان ـ ١٩٨٧ م ٠

٣ ـ محمد عويس محمد :
« طفل القرية ومشكلاته فى روايات طه حسين »
بحث قدم الى الحلقة الدراسـية التى نظمتها كليـة الآداب جامعة المنيا عن « الرعاية النفسية والاجتماعية للطفل المصرى ٠

٤ ـ مؤتمر التعليم الالزامى المجانى للدول العربية :
تعليم المرحلة الأولى فى مصر ٠
مطابع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة ـ ١٩٥٤ ٠

رابعا : كتب منشورة :

١ ـ ابراهيم الابيارى (محرر) :

طه حسين كما يعرفه كتاب عصره .

القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٧ م .

٢ - ألبرت حورانى :

الفكر العربى فى عصر النهضة (١٧٩٨ - ١٩٣٩)

ترجمة كريم عزقول . بيروت : دار النهار ، ١٩٦٨ .

٣ - أحمد حسن عبيد :

فلسفة النظام التعليمى وبنية السياسة التربوية .

القاهرة : مكتبة الانجلو ، ١٩٧٦ .

٤ - جوستاف لوبون :

روح التربيـــة .

ترجمة طه حسين . القاهرة : دار الهلال ، ١٩٢١ .

٥ - حسن الفقى :

التاريخ الثقافى للتعليم فى مصر .

ط٢ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١ .

٦ - حسين فوزى النجار :

أحمد لطفى السيد .

القـاهرة : المؤسســـة المصرية للتأليف والنشر ، **سلسلة أعلام العرب (٣٩) .**

٧ - حمدى السكوت ومارسدن جونز :

طه حسين . سلسلة أعلام الأدب العربى المعاصر (١) .

القاهرة الجامعة الأمريكية ، ١٩٨٠ .

٨ ـ سـامح كريم :
طه حسين فى معاركه الأدبية والفكرية ٠
القاهرة : كتاب مجلة الاذاعة والتليفزيون ، ١٩٧٤ ٠

٩ ـ سعد مرسى أحمد وسعيد اسماعيل على :
تاريخ التربية والتعليم
القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٣ ٠

١٠ ـ طه حسـين :
الأيـام ٠
جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ٠ نشر دار المعارف فى عدة طبعات٠

١١ ـ ―――――― :
مستقبل الثقافة فى مصر ٠
الطبعة الأولى نشرتها مكتبة المعارف بمصر ، ١٩٣٨ ٠
والثانيـة هى المجلد التاسـع من **الأعمـال الكاملة لطه حسين** التى نشرتهـا دار الكتاب اللبنـانى ١٩٧٤ ٠

١٢ ـ ―――――― :
من بعيد ٠
بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٤ ٠

١٣ ـ ―――――― :
تجديد ذكرى أبى العلاء :
ط ٨ ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٦ ٠

١٤ ـ ـــــــــــــ :

فصول فى الأدب والنقد :

دار المعارف بالقاهرة .

١٥ ـ ـــــــــــــ :

قادة الفكر :

دار المعارف بالقاهرة .

١٦ ـ ـــــــــــــ :

بين بين .

بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٢ .

١٧ ـ ـــــــــــــ :

الوان .

ط٤ ـ دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧٠ .

١٨ ـ ـــــــــــــ :

فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

ترجمة محمد عبد الله عنان ، بيروت . دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣ .

١٩ ـ ـــــــــــــ :

شجرة البؤس .

دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٥٨ .

٢٠ ــ ـــــــــــــ :

مرآة الضمير الحديث .

بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٣ .

٢١ ــ عاطف وصفى :

الثقافة والشخصية .

ط٢ ــ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ .

٢٢ ــ عبد الرحمن بدوى (محرر) :

الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين .

القاهرة . دار المعارف ، ١٩٦٢ .

٢٣ ــ عبد العزيز شرف :

طه حسين وزوال المجتمع التقليدى

القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٤ ــ عبد المجيد المحتسب :

طه حسين مفكرا .

عمان : دار النهضة الاسلامية ، ١٩٨٠ م ــ ط٢ .

٢٥ ــ عبد المنعم الجميعى :

طه حسين والجامعة المصرية .

القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨١ .

٢٦ ــ محمد الدسوقى :

أيام مع طه حسين .

بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨
٢٧ ـ محمد كامل الفقى :
الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ٠
ط٢ ـ القاهرة : دار نهضة مصر بالفجالة ـ ١٩٦٥ ٠
٢٨ ـ محمد منير مرسى :
التعليم العام فى البلاد العربية
القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٢ ٠
٢٩ ـ محمد منير مرسى :
ادارة وتنظيم التعليم العام ٠
القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٤ ٠
٣٠ ـ محمود عوض :
أفكار ضد الرصاص
القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، أكتوبر ١٩٧٢
٣١ ـ منير عطا الله سليمان وآخرون :
تاريخ ونظام التعليم فى ج ٠ م ٠ ع
ط٣ ـ القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٢ ٠
٣٢ ـ نازلى صالح أحمد وعبد الغنى عبود :
فى التربية المقارنة ٠
القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٤ م
٣٣ ـ نبيل أحمد عامر صبيح :

التعليم الثانوى فى البلاد العربية

القاهرة : الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

٣٤ ـ يوسف الصفتى :

التقويم والامتحان .

دراسة توثيقية القـــاهرة : المركز القومى للبحوث التربوية ، ١٩٨٠ م

٣٥ ـ Pierre Cachia, **TAHA HUSAYN** ,London & Lozac — Company L.T.D. 1956).

الفهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٩٣٦٦ / ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 4149 — 6